

روايات مصرية الجيد

أسطورة

57

ما وراء الطبيعة

المقبرة



www.dvd4arab.com
Hany3H
رواية مصرية الجيد

مقدمة

لَنتَم تَعْرِفُون (نجيب السمنوني) قَلَن أَغَلَق كَثِيرًا ..

يَمَكْنُنَا أَن نَتَجَاهَل مَا يَقُول كَلِيَّة ، فَلَم تَعُد سَنِي
وَلَا صَحْتِي تَسْمَحَان لِي بِأَن أَهَقُّ فِي هَذَا النُّوع مِن
الْقَصَص .. لَو كُنْتُ أَصْغَر مِن هَذَا ثَلَاثِينَ عَامًا ، لَذَهَبْتُ
إِلَيْهِ وَبَحَثْتُ فِي كُلِّ رُكْنٍ مِّن دَارِهِ عَن تِلْكَ الْبَقْع ..

بَقْع دُمُوءِيَّة عَلَى الْبَسَاط .. كُلَّمَا غُصِلْتُ ظَهَرْتُ مِّن
جَدِيد .. هَذِهِ الْقِصَّة مَعَادَةٌ وَقَدْ قَابَلْتُهَا مَرَارًا .. لَقَدْ
صَرْتُ أَغْلَقُ بِأَبِي كَي لَا أَصْطَدِمُ بِهِؤَلَاءَ الَّذِينَ يَرُونَ
بَقْعًا دُمُوءِيَّةً عَلَى بَسَاطِهِمْ .. افْتَحَ النَّافِذَةُ بِدُخُلِ عَشْرَةِ
مِنْهُمْ .. افْتَحَ صَنْبُورُ الْمِيَاهِ يَنْزِلُ لَكَ خَمْسَةٌ مِنْهُمْ ..

لَكِن الْجَدِيدُ فِي قِصَّةِ هَذَا الرَّجُلِ هِيَ الْخَادِمَةُ لِلطِّفْلِ
الَّتِي تَنَامُ فِي الْمَطْبَخِ ، وَالَّتِي تَدْخُلُ زَوْجَتَهُ الْمَطْبَخَ
لَيْلًا لِتَشْرِبَ لِنَفَاجَأٍ بِأَن طَوَّلَهَا صَارَ ثَلَاثَةَ أَمْتَارٍ ، حَتَّى
إِن قَدَمِيهَا تَتَسَلَّقَانِ الْجِدَارَ .. دَعَاكَ مِّنْ مَّلَامِحِ وَجْهِهَا
الَّتِي تَذَكَّرُهَا وَقْتُهَا بِأَسَدٍ عَجُوزٍ نَائِمٍ ..

أنتم تعرفون (نجيب السمدوني) .. لهذا يمكننا أن ننسى هذه القصة وإن اتضح أنها صحيحة فلن نخسر الكثير .. إن الخادمت اللاتي يستطيل جسدهن ليلاً موجودات في كل مكان .. لقد صرت أغلق بابي كي لا أصطدم بهن .. افتح النافذة تدخل عشرة منهن .. افتح صنبور المياه تنزل لك خمس منهن ..

ثم للقط .. للقط الذي يضحك ضحكة بشرية واضحة .. أنتم تعرفون (نجيب السمدوني) .. لهذا دعونا نتجاهل هذا أيضاً .. لا أجد شيئاً مسلياً في هذا كله .. لقد صرت أغلق بابي كي لا أصطدم بالقطط التي تضحك ضحكة بشرية .. افتح النافذة يدخل لك عشر منها .. افتح صنبور المياه ينزل لك خمس منها ..

ولكن دعونا من هذا الهراء ولنبدأ قصتنا ..

سأحدثكم عن أسطورة المقبرة ..

أعرف أن للمقابر المفزعة ليست موضوعاً جديداً .. ماذا تقولون؟ تقولون إن هذه القصة معتادة وقد قابلتموها مراراً؟ تقولون إنكم صرتم تغلقون الأبواب

كي لا تصطدموا بمقبرة مفزعة؟ تقولون إنكم تفتحون النافذة فتدخل عشر منها .. تفتحون صنبور المياه فتتزل لكم خمس منها؟

أنتم تتلفظون بكلمات غريبة على مسمعي ، وإنني لعاجز حقاً عن فهم شباب اليوم ..

من أين تأتون بهذه السخرية المقيتة؟

من علمكم تسفيه الآخرين إلى هذا الحد؟

على كل حال ، سأحكي لكم القصة .. وأعرف أنكم ستحبونها .. إنها مرعبة .. وأنتم تعرفون أن الرعب يحتاج إلى قدر كبير من الخيال .. إلى سعة صدر وصفاء بال .. يحتاج إلى هدوء .. يحتاج إلى ليل ..

هذا هو ما قاله (لافكرافت) الذي اعتبر كاتب قصص الرعب مسكيناً ، يحتاج إلى ما هو أكثر من الحظ كي يعترف القارئ بأنه خاف ..

تعالوا الآن واصفوا إلى ..

إن (رفعت إسماعيل) العجوز سيحكى لكم قصة
أخرى

العام ١٦٧٥ ..

المكان : (ليفورد) .. البلدة الهادئة فى مقاطعة
(تيركونل) كما كانت تعرف فى ذلك العصر
أو (دونيجال) كما تعرفها الآن .. إن الخبراء منكم
فى أمور أيرلندا يعرفون أن (دونيجال) مقاطعة فى
أقصى شمال (أيرلندا) تطل على المحيط الأطلسى
من جهتين . إنها مقاطعة رعوية وعرة مليئة
بالجبال ، وتشكل حاليًا جزءًا من جمهورية أيرلندا ،
وجزءًا مما يعرف بـ (أولستر) التى تتكون من تسع
مقاطعات .. و... إن الموضوع معقد جدًا لهذا لن
أدخل فى التفاصيل التى تجدونها فى أى كتاب
جغرافيا أو تاريخ ..

الآن يحتشد أهالى البلدة الهادئة التى لا يحدث فيها
شئ على الإطلاق .. اليوم من الأيام النادرة التى
تحدث فيها أشياء ، ولهذا لم يبق واحد فى داره ..

الحدث : أى حدث غير حرق الساحرة طبعًا ؟

فى هذه البلدة لا يحدث شئ مثير سوى تعذيب
أحد المهرطقين من حين لآخر ، أو حرق ساحرة ..
وتهمة الساحرة هذه مطاطة تتسع لأية امرأة تعالج
المرضى بطريقة غريبة ، أو تشاهد عند المستنقعات
ليلاً ، أو توجد فى جسدها علامة ما يفترض أن
الشيطان يتركها فى زوجاته .. كما قلت سابقًا كل
هذه التفاصيل الدقيقة مشروحة فى كتاب (مطرقة
الساحرات) الرهيب ..

عندها يكون الاستجواب .. ثم التعذيب .. والتعذيب
أسلوب عبقري فى استخلاص الحقائق ، يستطيع أن
يقنع فأرًا بأن يعترف بقتل الأسد ، أو يقنعك
بالاعتراف بتزعم عصابات المافيا فى الثلاثينات ..

كثيرات بريئات هلكن بهذه الطريقة .. أما المرأة
التي تصمد فكانوا يقيدونها ويلقون بها فى الماء ..
فإن غرقت اتضح أنها بريئة للأسف ، وإن طفت
عرف الجميع أنها ساحرة وعندها تعدم !

يجب أن نقول هنا إن (هيلين) أو (رونيل السوداء) - كما يدعونها في البلدة - كانت غريبة الأطوار جداً ..

أولاً كانت جميلة جداً .. كان جمالها من الطراز الذى يخطف الأبصار ويذهل العقول .. هناك أمثلة نادرة جداً من هذا الطراز من (الجمال المولم) .. وكما نعرف يقولون عن المرأة بارعة الجمال إنها (ساحرة) .. يسهل إذن تصديق ما يقال عنها فى هذا الصدد ..

ثانياً : لماذا لم تتزوج (رونيل السوداء) ؟ لقد هام بها السير (باتريك مليجان) حباً وفعل كل ما هو ممكن كي تقبل أن تكون له .. إن السير (مليجان) ليس سيئاً .. ويمكن بسهولة أن تدرك أنه ثرى .. فما الذى ترفضه هذه الراعية الفقيرة فى رجل كهذا ؟

الشباب ؟ هذا وارد .. إذن لنر ما سيحدث حين يتقدم إليها أقوى شاب فى البلدة وأكثرهم وسامة .. إنه (جون أونيل) الذى لم يقل أحد قط إنه ليس حلم كل فتاة فى البلدة .. لقد كلمها ثم قابل أمها العجوز

مائة مرة .. لكن الإجابة دوماً هى : لا .. لا (لا) غير مسببة هى نوع من النقد الانطباعى الذى لا نفع له ..

هذه النقطة هى الأخرى لا بد أن تثير التساؤل ..

ثالثاً : لماذا تلتزم بثياب الحداد السوداء طيلة الوقت ؟

رابعاً : ماذا يدفع فتاة حسناء ترتدى الأسود إلى الذهاب إلى المقابر ليلاً وحدها ؟ هناك من شاهدوها وهم يقسمون على أنها كانت تمشى بخفة بالغة .. برغم أن طريق المقابر وعراً ملئاً بالمستنقعات .. لم تكن تمشى بل كانت (تسرى) .. (تنساب) .. هكذا يؤكدون .. ومما يزيد الأمور سوءاً أنها تختار الليالى القمرية لهذه الرحلات وإلا ما رأوها أصلاً ..

وهكذا أخبر (جيمس) العجوز زوجته .. وزوجته أخبرت (إليوت) .. و(إليوت) أخبر (جك) .. و(جك) أخبر القس .. والقس - الذى تذكر أنه لم ير الفتاة فى كنيسة منذ زمن - أخبر السيد (كيلبارون) الحاكم ..

وهكذا دارت العجلة الشهيرة ..

وقد تمت محاكمة سريعة وإن كان من الصير أن
نزع منها ظالمة .. إن للفتاة كهفًا قرب المقابر .. وكان
هذا الكهف يحوى أشياء تقشع لها الأبدان ، حتى إن
القس لم يتحمل نفسه وأفرغ معدته لدى رؤيتها ..
كانت الحقيقة التي أدركها الجميع هي أن (رونيل
السوداء) كانت تفعل بالأطفال ما تفعله أية ساحرة
شريرة أخرى .. كانت تلتهمهم .. لكن غرض الاتهام
لم يكن الجوع طبعًا ، بل استكمالًا لطقوس أهم ..

هذه إذن من المرات القليلة التي كانت فيها تهمة
السحر مؤكدة وعادلة ..

والآن جاء اليوم الكبير ..

خرج أهل البلدة جميعًا والحماسة تغلبهم كي يروا
المشهد الذي لايجود الزمان بمثله إلا كل عام ..

ثم إن رجال الشرطة في البلدة ظهروا وبينهم كانت
الفتاة التي بدت شاحبة جدًا ، لكن من الظلم أن نقول
بها كانت خائفة .. كانت ترتدى ثوبًا من الخيش البسيط
وقد وضعت يديها في قطعة من الخشب تحيط بعنقها

في أسلوب (الفلقة) الشهير ، الذي كان يعتقد أنه
ضرورى لتوبة الساحرات ..

كان القاضي (ستيوارت بارنيل) المحترم موجودًا ،
وعلى المنصة وقف الجلاذ جوار العود الخشبي
يضع الحطب والقش ..

صعدوا بها الدرجات الخشبية .. وأعلى الدرج كان
القس ينتظرها ..

سألها في اقتضاب :

« هل تعلنين توبتك الآن ؟ »

فالحقيقة أنه لم يكن خبيرًا في هذه الطقوس ،
بينما كان الأسبان والألمان والفرنسيون علماء فيها ..
إن التاريخ يحكى لنا قصصًا نادرة جدًا عن حرق
المساحرات في الجزيرة .. بينما يعج بتلك القصص في
اسبانيا ، كما تشتهر (سيلم) الأمريكية عبر المحيط
الأطلسي بسمعة سيئة مماثلة ..

كانت الإجراءات مقتضبة وكذا كان رد فعل الفتاة ..

نظرت للنفس بعينين متسعيتين تنبعث منهما النيران
تقريباً .. لا يعرف السبب لكن هذه النظرة الحاقدة
هزته من الأعماق وجعلته يصمت تماماً ..

ولنفس السبب لم ينظر لها الجلاذ كثيراً وهو
يقيدها إلى العمود ..

هنا دوت صرخة ألم من بين الجمع :

«الرحمة!»

ونظر الناس ليروا الشاب (جون أونيل) الذى
انفجر فجأة فى بكاء هستيرى جدير بالمراهمقات ، من
العسير نوعاً أن ترى حبيبته فى هذا الموقف حتى
لو قيل لك إنها ساحرة شريرة ..

ويحاول الفتى القوى أن يشق طريقه إلى المنصة ،
لكن القوم تكأكلوا من حوله ، وقيده أشداء الرجال من
ذراعيه كي لا يتهور ..

على حين نظر الجلاذ إلى (بارنيل) ينتظر إشارته ..



على حين نظر الجلاذ إلى (بارنيل) ينتظر إشارته ..

وكان هذا الأخير لا يتميز برقعة القلب .. كان من
جلاى الساحرات المعروفين الذين يعطون المحرقة
مزية الشك .. من الخير حرق خمس بريئات بدلاً من
ترك ساحرة واحدة تعيش ..

هز الرجل رأسه فى وقار فقذف الجلا بالشفطة
على الخشب ..

بدأت الزهرة البرتقالية المخيلة تهمس
بأسرارها .. تتوهج .. تضطرم ..

وتصاعدت شهقات رعب ممزوج بالنشوة من لواقين ..
هنا فقط تكلمت (رونيل السوداء) ..

كان الدخان يتصاعد فلم يتبين القوم ملامحها
وإن أكد البعض أنه لم يعد وجهها ..

فقط كان الصوت أغلظ مما يمكن تصويره .. صوتاً
ذا صدق كأنما ألف شيطان يتكلمون بصوت واحد :

«أيها البلهاء ! لقد حكمتكم بالويل على أحفادكم !
وليكون انتقامي شنيعاً !! ساعود بعد ١... ١... ١... ١... ١... ١... ١...
عام .. كى ..»

لقد تلاشى صوتها مع النيران التى راحت
تتعالى ..

ليس فى هذا شيء جديد ..

كل الساحرات يهددن أو يقتلن نبوءة كريمة ما
وهن على المحرقة .. إن الساحرة التى لاتفعل
ذلك إنما تجازف بسمعتها .. وقد اعتاد أهل البلدة على
هذا ..

لكن كانت هذه هى المرة الأولى التى تلقى الكلمات
كل هذا الرعب فيهم ..

ولم ينتظر الكثيرون حتى تتلاشى سحب الدخان
كما هى العادة ليروا الجسد المتفحم ..

لسبب ما عاد أكثرهم إلى داره ، ليفلق الباب عليه
وعلى أطفاله ، ثم يندس تحت الأغطية راجفاً مردداً
الصلوات ..

لسبب ما لم يبد الفخر على الجلا بعدما أتم عمله
الرهيب ..

لسبب ما لم يحاول أحد الكلام عن هذا اليوم قط ..

وفي قبر بلاشاهد في مقبرة المدينة وضعوا بقايا
(رونيل السوداء) .. ومن يومها نسي الجميع
أو تناسوا هذه القصة المؤسفة ..

وبعد هذا بثلاثمائة عام زارت المكان امرأة
اسكتلندية شقراء ..

كان اسمها (ماجى ماكيلوب) ...

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

الصار ١٩٧٥ :

المكان : (ليفورد) في (دونيغال) كما نعرفها
الآن و (تيركونل) أو (أودونيل) كما كانت تعرف
في الماضي ..

في الفترة الأخيرة ، يبدو أن حارس المقابر
(جيمس إدوارد) قد لاحظ عدة أشياء لا تبعث الراحة
في النفس .. كل حراس المقابر يلاحظون أشياء
غريبة أهمها غالباً الجثث التي تحاول الخروج من
القبور ليلاً .. وليس الرجل استثناء ..

لكن ما لاحظته هو كالتالى :

- « في الليالى المقمرة بالذات .. بعضها لاكلها ..
أرى عددًا من النساء يمر عبر شواهد القبور .. لا أستطيع
أن أصفهن بدقة ، لكنى أعرف جيدًا أنهن مسربلات
في عبايات طويلة وأن شعورهن منكوشة ثائرة ...
لاداعى لأن أقول إننى تجاسرت أكثر مرة ولحقت بهن ..
لكننى كنت أصل إلى هناك فلا أرى أحدًا على الإطلاق ..

« إننى أؤمن بأن مقبرة (ليفورد) تحوى سرًا مخيفًا .. »

ولم تكن (ماجى ماكيلوب) تعرف شيئًا من هذا ..

إن لها أسبوعين فى أيرلندا وهى ليست زيارتها الأولى .. لكنها فى هذه المرة كانت على موعد .. (رفعت إسماعيل) قادم لأحد المؤتمرات العلمية فى جامعة (دوبلين) .. أى أنه سيكون قريبًا جدًا منها ، وكانت هى تتوى من البداية أن تقضى بعض أيام فى (أيرلندا) لأن هواية التصوير القديمة عادت تغلبها هذه الأيام .. وقد اختارت (دونيجال) كى تزورها ، وتقضى الوقت فى تصوير القلاع القديمة المهيبة على الساحل هناك .. قلعة (كيلبارون) قرب (باليشاتون) وقلعة ملوك (أيرلندا) الأوائل فى (لوسويل) ..

كانت (ماجى) قد نشأت فى قصر .. الحقيقة أنها كتبت قلعة مخيفة إلى حد ما .. ومن الطبيعى أن حياتها فيها وحيدة بعد وفاة أبيها كانت خبرة مرعبة ..

وقد قررت أن أقتع نفسى بأن هذا كله نوع من الهلوس الليلية .. إن منظر المقابر فى ضوء القمر ليثير شتى أنواع الخيالات فى النفس حتى بالنسبة لمن كانت تلك مهنته ..

« لكنى من جديد أرى هذا المشهد من حين لآخر .. ومن جديد ألاحظ أنهم يحمن حول قبر بعينه .. يصنعون حوله دوائر وربما يرقصن رقصًا مجنونًا مخيفًا ... الحقيقة أن الأمر كله ينكرنى بشيء ما مخيف .. بحفلات سحرية .. بلون من طقوس الخصوبة يمارس هناك فى الظلام .. لا أدرى .. لكننى كلما أخبرت واحدًا بهذه القصة ضحك كثيرًا ، وقال لى : إننا فى أيرلندا يارجل .. وفى أى قرن ؟ فى القرن العشرين .. كف عن هذا الهراء .. »

« لما الأتكياء بحق فكثروا يسألوننى عن أنواع الكحول التى أشربها فى الآونة الأخيرة .. وهم جميعًا يعرفون أننى لا أقرب الخمر .. من السهل أن أكون مجنونًا لكن من المستحيل أن أكون ثملًا .. »

لكنها تعلمت فن (تذوق القلاع) من نشأتها ..
وأدمنت ذلك الشعور الغامض الذى هو مزيج من
الرعب والرغبة والافتتان وسحر التاريخ والجمال
الذى نشعر به حين نرى القلاع ..

أشباح ؟ إن قلاع اسكتلندا تعج بها ، وهى لم
تتصور قط أن هناك بعض الأشباح قد بقيت
لأيرلندا .. من المستحيل أن يبقى شبح واحد لشعوب
الأرض المسكينة بعدما احتكرتها اسكتلندا جميعاً ..
إن كثيراً من المفكرين الساخرين اعتبروا أشباح اسكتلندا
موظفين فى السياحة هناك .. ولن يكون غريباً أن
تقبض هذه الأشباح راتبها آخر الشهر من الحكومة ..

لكن قلاع أيرلندا الرهيبة لها مذاق خاص لم تعتده
(ماجى) ، وهى لم تعرف لنفسها طيلة حياتها إلا هوايتين
محببتين حقاً : دراسة الفيزياء - لو كانت هذه هواية -
والتصوير الفوتوغرافى الذى لم تكن موفقة فيه فى
البداية ، ثم أجادته بشدة وصار يسرى فى عروقتها
كالدماغ ..

الجديد هنا أنها كانت ترى البلاد بعينين بريئتين
فيهما بكرة .. هاتان العينان اللتان يملكهما أى طفل
وتجعلانك ترى كل شىء بمنظور مختلف كأنك تراه
للمرة الأولى ..

الحقيقة أن الصغيرة (إليانور ماكدوجلان) ذات
السبعة أعوام طفلة رائعة الجمال .. أضف الشعر الأشقر
للطويل حتى للخصر إلى العينين الزرقاوين الواسعتين ،
تجد أنها بemie حقيقية ، وكانت تحب (ماجى) بجنون ..
السبب الظاهر طبعا هو أنها قريبتها .. لكن لو أحب
كل إنسان لقربه بهذا الجنون لتحول العالم إلى جنة ..
إن (ماجى) برغم ذكائها الخارق وأعوامها التى
تجاوزت الأربعين طفلة رائعة الجمال هى الأخرى ..
ولا تحتاج إلى مجهود كبير كي تفكر وتضحك وتحلم
كالأطفال ، وكانت غريزة الأطفال الجهنمية لا تخطئ
فى هذا الصدد .. دعها تدخل أية قاعة مزدحمة ..
تجد الأطفال يتجهون نحوها لاشعورياً .. دعها تداعب
رضيعاً تجده يقرقر ضحكاً ، بينما لو داعبته أماً
لانفجر فى بكاء مجنون حتى يذرق لونه ويموت ..

(إليانور) إذن فى ضيافة (ماجى) .. وهى ضيافة
كانت (ماجى) تتوق لها من زمن ... وهكذا تأخذ
ضيافتها الصغيرة فى رحلتها تلك إلى أيرلندا، وإن
رسمت لها خططا أكثر طموحا .. ماذا عن فرنسا؟ ماذا
عن إيطاليا؟ بل ماذا عن الشرق الأقصى وربما مصر؟

فقط لو أن أهلها سمحوا لها، وهذا مستحيل على
كل حال .. ولو أنها تركت لنفسها العنان لاختطفت
الطفلة إلى مكان قصى، ويومها لن تراها أمها
إلا بعد ما تدفع ثمن التذكرة فى كل مرة ..

الآن قدّمنا لك الأسباب التى دفعت (ماجى) إلى
القدوم إلى هذا المكان بالذات ..

لما عن سبب ذهبها إلى المقبرة ليلاً فبسيط جداً ..
إنه القمر .. إنه مكتمل الليلة، ولك أن تتصور المشهد
لمهيّب للكنيسة العتيقة الواقفة تغلفها الظلال والأشعة
الفضية الباردة .. صحيح أن المقابر تقع على مرمى
حجر من الكنيسة، لكن من قال إن المقابر لا تصلح
لوحة رائعة ذات طابع قوطى محبب؟

كملت الاستعدادات بسيطة .. (بول أوفر) سميك لها
والمسويتر ذو الكبود للطفلة .. ثم القفازات .. لا غنى
عن القفازات .. فيلم حساس يناسب التصوير الليلي
مع حامل لا غنى عنه لهذه الصور طويلة التعريض ..
وغادرت الفتاتان الخان فى التاسعة مساء ..

سألته المسز (باتكروفت) عن سبب خروجها
ليلاً، فقالت (ماجى) ضاحكة :

- « بعض صور للكنيسة فى ضوء القمر .. »
قالت صاحبة الخان ذات الشعر الأبيض المعقوص :
- « ولكن .. ليكن .. أنت ذات حساسية للصور
الجيدة .. »

- « لقد كففت عن اعتبار نفسى هالوية منذ زمن ..
سيأتى يوم تتقاتل فيه الصحف على تعيينى .. »

- « خذى الحذر إن من الحفر .. إن بلدنا وعرة ..
ولكن لا .. لا بد أن القمر قد جعل الرؤية كأنما هى فى
النهار .. أنت فاتنة يا عزيزتى .. »

وهكذا خرجت (ماجى) مع للطفلة ميممتين وجهيهما
شطر المقبرة ..

كانت البلدة خالية تماماً .. البرد والظلام جعللا
الجميع يكمنون فى ديارهم جوار المدفأة .. وكانت
(ماجى) تفضل هذا على كل حال .. إن سكان هذه
البلدان الصغيرة يتعاملون مع الكاميرا باعتبارها
جسماً شاذاً هبط من المريخ ..

أخيراً ترى (ماجى) للمشهد المهيّب الذى وصفناه ..
تشهق تبهاراً ثم تنصب الحامل وتعالج سرعة التعريض ..
إنها تفضل فتحات الحاجب الضيقة مع سرعة
تعريض أطول لأن هذا يجعل الصور حادة نوعاً ..

قالت (إليانور) وهى تلتصق بها :

- « فلنسرع .. إن المكان مخيف بحق .. »

ابتسمت (ماجى) فى رفق .. هى تحب هذه
اللحظات حين يشعرون بالخوف ويلتصقون بها
كقطط صغيرة عندها تشعر بأنها (هرقل) ذاته ..

كلبك .. كلبك .. كلبك .. ثم :

- « فلنغير الزاوية .. »

وحملت الحامل على كتفها وباليدي الأخرى أمسكت
بيد الصغيرة الدافئة فى قفاها الصوفى ، وراحت
تشق طريقها فى حذر نحو الغرب محاولة ألا تتعثّر
فى الحفر ..

آه ! من هذه الزاوية ترى المقابر بوضوح تام ..

للسواهد الباردة بما عليها من كلمات صار من الصعير
قراءتها .. وما بقى عليها من زهور جفت أو ذرتها
الريح .. تستحم فى الضوء الفضى المصفر قليلاً ..

فشعريرة زحفت على سلسلة ظهر (ماجى) لكنها
تجاهلتها .. وبدأت تضبط مجال الرؤية ..

- « أنا خائفة .. »

- « ليس هنا سوى أحجار .. لا تتوقعى أن تنفتح
القبور ويمد لنا الموتى أيديهم الباردة كى ... »

وهوت على ساعد للصغيرة بأناملها تعصره ،
ورسمت على وجهها نظرة مخيفة ضاحكة ، فأطلقت
الفتاة صرخة هلع :

« (ماجى يى) أنا لم أرا إنسانا أخبث منك
ولا أشرا ! »

« ستقابلينه يا عزيزتى .. ستقابلينه .. إنه نائم
فى مكان ما من إنجلترا الآن .. ولسوف يكون زوجك
بعد عشرة أعوام ! »

ولسبب ما فكرت فى (رفعت) .. هل لأن الكلام
كان عن الزواج ؟ أم هو مشهد المقابر الرهيب ؟ أم
هى سيرة الخبث والشر ؟ لا أعرف طبعا ..

إنه قادم خلال أيام ، ولسوف يبهرها بالمزيد من
الضمور الجسدى والأمراض المزمنة .. مع هذا
الرجل يمر العام الواحد كأنه خمسة .. ولن تدهش
هذه المرة لو وجدت أنه فقد عينا أو ساقا أو أصيب
بالشلل الرعاش .. فقط ستدهش لو مات ، لأنه برهن
على قدرة خارقة فى أن يظل حيا برغم هذا كله ..

كليك .. كليك .. كليك .. ثم .. كليك ..

ولابد من كليك هنا أيضا ..

لو أن الصور خرجت كما تراها الآن فهذه أروع
مجموعة النقطتها منذ عام ..

هنا هتفت الطفلة وهى تلتصق بها أكثر :

« هناك أشخاص ! »

بالفعل كان هناك أشخاص ..

لاستطيع (ماجى) تحديد العدد بالضبط ، لكنه
يقترّب من الخمسة أو الستة .. لمزيد من الدقة
اللغوية خمس أو ست ، لأن كل شيء يوحى بأن هذه
أشباح نساء ..

ثمة شيء ما لا يربح فى هاته النسوة ..

إنهن مسربلات فى عباءات فضفاضة وشعورهن
ثائرة .. يمكنها أن ترى أن شعورهن ثائرة برغم
أنهن على بعد خمسين مترا على الأقل ..

إنهن يمشين وسط المقابر .. ما الذى يدفع
مجموعة من النسوة كي يمشين وسط المقابر ليلاً ؟

وبشكل غريزي مدت يدها الهشة تضعها على قم
الطفلة ، وغاصت فى موضعها أكثر .. لحسن الحظ
أنها تقف خلف شاهد حجري يسمح لها ببعض
الاختباء لا كله ..

النسوة يتجهن إلى مكان معين فى المقبرة .. يقفن
فيما يشبه الدائرة .. إنهن يرسمن شيئاً على الأرض ..
ثم يلتفن ويشبكن أيديهن صلتعت دائرة بأجسادهن ..

إنهن يدرن كأنهن يلعبن لعبة أطفال .. تزداد
السرعة .. وطيلة الوقت يرددن شيئاً ما لا يمكن أن
تتبينه .. لكنك تشعر به ..

هنا فقط خرجت (ماجى) من شبه الغيوبة التى
شلت حركتها ، وخطر لها أن ماتراه مهم جداً .. وعلى
الفور أخرجت عدسة (الزوم) وقامت بتثبيتها إلى
الكاميرا ، وبدأت تلتقط بعض الصور لهذا الجمع ...

شهيق الطفلة يتعالى من فرط إثارة وتوتر .. ولا شك
أنها توشك على الفرار فى أية لحظة ..

النسوة يقمن الآن بإخراج أقفص صغيرة .. يخرجن
ما بها .. الآن فقط تفهم (ماجى) أن هذه طقوس
سحرية .. يمكنها أن ترى بعين الخيال أن مارسم
على الأرض لن يكون إلا نجمة خماسية .. يمكنها أن
ترى بعين الخيال أن ما يخرجنه من تلك الأقفاص
حيوانات صغيرة يقمن بذبحها ..

ثم بدأ الجنون .. فعلاً الجنون ..

رقصات مجنونة لا يمكن وصفها لا بد أن قبائل
(البوشمان) لم تقم بمثلها حول النار ليلاً .. تلك الضحكات
الرفيعة المألوفة التى تضحك بها السحرات فى السينما ..

صوت غراب يدوى من بعيد ، فتزداد حماسة
الراقصات ..

ترى هل تفهم الصغيرة معنى هذا الذى تراه ؟ على
الأرجح لا .. ولعل هذا من حسن الطالع .. هى فقط
خائفة وهذا من حقها ..

ولكن ما هذا ؟ هل ثمة قبر يفتح ببطاء ؟

هل هذا الذى يخرج منه دخان فعلاً ؟

لماذا تصلبت للنسوة وكفن عن الاحتفال الصلخب ؟

وقهرت (ماجى) أن الوقت قد حان كي تجمع حليبتها
وتفر .. لقد رأيت للكثير .. هذا المكان يحتاج إلى زيارة
صباحية لرؤية ما كانت هاته النسوة يفعلنه ..

لكن الآن لابد من الـ ...

ضربة فى مؤخرة رأسها فأطلقت صرخة عالية
واستدارت .. فقط لترى ذلك الغراب الكريه يفر
مبتعداً .. لاشيء يخيف .. إن الغربان تهاجم الأجسام
لللامعة ، وقد كانت الكاميرا تلمع فى ضوء القمر ..

لكن المشكلة هى أن النسوة سمعن الصرخة ..

إنهن قد تصلبن ..

إنهن يتحركن نحو مصدر الصوت ..

وهنا فقط صرخت (ماجى) فى الطفلة :

« فلنفرّيا (إليانور) !! »

ولم تكن الطفلة بحاجة إلى شرح ، لأنها كانت قد
انفجرت فى البكاء الهستيرى ..

جذبتها (ماجى) من يدها وانطلقتا تركضان وسط
الأراضى الوعرة .. حامل الكاميرا فى يد والطفلة فى
يد .. حفر .. حفر .. وهدة .. حفرة .. حفرة ..
صخرة ..

ولم تجسر قط على النظر إلى الوراء .. لسوف
ينتابها الهلع .. لسوف تتعثر ..

لا بد من فرار سريع بلا تردد ..

وعندما تصل إلى الخان ، سيكون هذا الكابوس
قد انتهى ..

لكن هذه كانت - كما نعرف جميعاً - هى البداية ..

١- لقاء تأخر ..

أنهت أعمال المؤتمر وصرت حرًا ..

لا أزعج هنا أنني أمقت المؤتمرات .. بشكل ما أن اعتبر نفسي خبير مؤتمرات متمرسًا .. ولا أخسر سرًا إذا قلت إن ملاحقة المؤتمرات عبر العالم هي المتعة الوحيدة لي في الحياة .. أنت تسمع أفكارًا جديدة وتعرف أشياء جديدة وترى أناسًا جديدين طيلة الوقت .. تصور شيئًا كهذا بالنسبة لشخص ملول مثلي .. الأمر نوع من المهرجانات العظيمة ، والأهم أنك لا تتكلف شيئًا تقريبًا .. لأنني أدعى إلى أكثر هذه المؤتمرات ، كأنهم يحتاجون دومًا إلى تعكير مزاجهم بوجود (رفعت إسماعيل) الكنيب ..

طبعًا كانت لمؤتمر (نوبل) هذا مزية مهمة ، هي أنني على أرض (ماجي) .. ومعنى هذا أنني سلقابلها بالتأكيد .. وقد عرفت أنها ستكون في (أيرلندا) في هذا

الوقت بالذات .. وحددت لي بلدة (ليفورد) في (دونيجال) للقاء .. لم أكن أعرف هذا المكان طبعًا لأنني لست ملكة بريطانيا ، لكنني عرفت أنها تقع في أقصى شمال البلاد ، وتطل على المحيط الأطلسي .. كانت مع (ماجي) طفلة هي قريبتها وقد ضايقني هذا نوعًا ، لأنني لا أطيق الأطفال ولا الزهور ولا الربيع كما تعرفون عني ، لكن (ماجي) تستحق تضحية صغيرة كهذه ..

وجاء اليوم الموعد ..

كانت بانتظاري حين بلغت البلدة .. (ماجي) الرقيقة التي تمشي على العشب دون أن تثني منه عودًا واحدًا ..

(رفعت) الملول العصبي غريب الأطوار كان يملك علمًا لم يخط فيه بشيء من قبل .. أرض (اللابشر) لو صح التعبير .. فقط واحدة استطاعت أن تخطو فوق هذه الأرض .. تغزوها .. تغرس فوقها علمها للخاص .. ومنذ ذلك اليوم صرت رجل امرأة واحدة ..

أشجار .. أفرح .. أفكر .. أخاف .. أطمئن .. لكنها
هناك ..

أسافر .. أعود .. أنام .. أصحو .. لكنها هناك ..

وكما يقول (صالح جودت) : فأنت المنتهى وهنا
المصيب ..

هل كان هذا فى صالحى ؟ الحقيقة أنتى لا أدرى
بالضبط .. هذا الحب العتيد لذى أحسبه ولد قبل أن يولد ..
ربما بينما المصريين للقضاء ينحتون مسلاتهم .. ربما
بينما (لتى ركس) الحلاق يتحرش بـ (برونتوسلوروس)
وديع قرب المستنقع .. ربما بينما القمر يولد من
المحيط الهادى ..

هذا الحب قد جعلنى عملياً عاجزاً تماماً عن
ممارسة حياة طبيعية .. جعلنى ذنباً متوحداً يحيا هنا
فى مصر ، بينما قلبه ينبض هناك فى (إفرتسشالير) ..
ولعمري ما أطول تلك الدورة الدموية !

لم تتغير .. حقاً لم تتغير .. إن الأيام تعلمها معاملة
غير عالة .. فبينما تترك كل حقيقة ندبة لا تمحى على

وجهى ، تلتف الأعول حولها تريل الغبار المتراكم ..
قرر للزمن أن يضع قناعاً ويدخل غرفة الجراحة ليصير
جراح تجميل خصوصياً لها ..

هذه هى (ماجى) .. خمسة وخمسون كيلوجراماً
من السحر والرقعة والرقى والمرح .. حساسة كزناد
تفجير لغم نازى مدفون تحت رمال العطين .. كتلة
من الأعصاب المرهفة مغطاة بالجلد ..

وأنا ...

أهيم بها ...

قالت لى حين رأتنى :

- « للأبد ؟ »

- « ماذا ؟ »

- « ستكون ملكى للأبد ؟ »

- « وحتى تحترق النجوم كلها .. وحتى ... »

وتوقعت أن أكمل العبارة الأخيرة ، لكن الروتين هو الروتين .. لقد خنقتي التأثير كالعادة ..

قالت ضاحكة وهي تقدم لى الطفلة :

- « (إلياتور ماكوجلاس) .. المفترض أنها قرييتى لكنها فى الحقيقة شريكى .. »

انحنيت وصافحت الطفلة بشكل رسمى مبالغ فيه ، وتأملت ملامحها .. بارعة الجمال كما لا بد أن يكون كل ما يمت لـ (ماجى) .. هذا باستثنائى طبعا ما يمت اعتبر أننى أمت لها ..

- « تشرفنا أيتها الأنسة .. هل سبق لى أن حظيت بشرف معرفتك ؟ »

نظرت لى فى فضول بعينيها الزرقاوين الصافيتين وقالت :

- « بالواقع ... لا .. »

كأنه من الممكن أن ينسى للمرء (رفعت إسماعيل)

بسهولة !

كان الخان الذى اختارته لنا مريحاً له ذات الطابع البريطانى - بل الأيرلندى طبعا - الودود الذى يذكرك بقصص (أجاثا كريستى) .. كانت قد اتخذت هى والطفلة غرفة .. واختارت لى غرفة جميلة لا تطل على شىء على الإطلاق لأنها تعرف ذوقى ..

قالت للمسز (باتكروفت) صاحبة الخان وهى تقدمنى :

- « هذا هو البيروفيسور (إسماعيل) الذى حجزت له الغرفة رقم (١٢) .. مسز (باتكروفت) .. »
هزرت رأسى متظاهراً بالرقى ، وقلت :

- « تشرفنا .. »

كانت امرأة فى المائتين من عمرها ، لها شعر أبيض ناعم عقصته بعنف بتلك الطريقة التى توحى لك بأن فيها صار فى موضع أعلى وأنها لن تستطيع إغلاق جفنيها للأبد .. وكان لها وجه لطيف مليء بالتجاعيد لكن فيه شيئاً من الخبث بالتأكيد ..

قالت لى (ماجى) :

- « يمكنك أن تذهب لغرفتك وتتأهب للعشاء ، أو تجلس هنا نتحدث .. »

وكان اللوبى لهذا الخان شينا أقرب إلى قاعة الجلوس فى البنسيونات الصغيرة .. جو حميم دافئ .. ثمة نار مشتعلة فى مدفأة ، ومجموعة من الرجال لا يبدو عليهم أنهم من طبقات المجتمع الراقية ، لكنهم ليسوا كذلك من طبقة العمال .. كانوا يشربون ويدخنون ويرمقوننا فى فضول ..

قلت لـ (ماجى) إننى أفضل للجلوس قليلاً .. فهزت رأسها راضية .. للغريب أن (ماجى) هى الشخص الوحيد فى الكون الذى أعرف جيداً أنه يحب وجودى ويستمتع به .. فأنا أبصر روحها كما أبصر روحى أنا .. إن أختى تحبنى بالتأكيد لكننى أشكل لها ظاهرة تعجز عن فهمها ، ولا شك أن وجودى يسبب لها توتراً غريباً .. (عزت) ؟ من المجنون الذى يزعم أن (عزت) يحب وجودى ؟ إننى أجنب له المصائب

فى كل لحظة .. لكننى لن أبلغ .. بالتأكيد هناك أشخاص كثيرون يحبون وجودى ، لكننى لا أستطيع أن أزعم هذا بالثقة التى أتكلم بها عن (ماجى) ..

قالت لى باسمه وقد أسندت ذقنها على قبضتها ، وراح كشافها الأرقان بتفحصاتنى :

- « هممم ؟ ماذا فعل الزمان بك ؟ هل فقدت أشياء لو اكتسبت أشياء ؟ »

- « أضفت أمراض البروستاتا وتصلب عدسة العين وحصوة كلية صغيرة إلى قائمة أمراضى .. بينما فقدت إصبعين من قدمى .. »

تقلص وجهها ذعراً وهتفت :

- « ماذا ؟ إصبعين ؟ متى ؟ »

قلت فى لامبالاة وأنا أحتسى الشيكولاتة الساخنة التى طلبتها لنا :

- « ليلة فى ثلاجة الموتى مع وباء يشبه التيفوس .. قضة صقيع .. أنت تفهمين هذه الأمور ! »

نظرت لى فى هلع ثم ارتجفت أهدابها بضحكة
تحاول أن تكتمها .. كانت ترغب فى التأثير لكن
لا مبالاة جعلت الأمر أقرب إلى دعاية :

- « أنت لن تتغير ! »

- « وأنت ؟ هل تغيرت ؟ »

قالت وهى تداعب شعر الصغيرة :

- « بمناسبة حضورك .. عندي لك قصة مثيرة
حدثت منذ ثلاثة أيام ، وأعتقد أنها تنتمى إلى
عالمك .. »

- « هاتها .. »

وهكذا بدأت (ماجى) تحكى لى القصة التى يعرفها
الجميع الآن باستثنائى طبعاً ...

- « كنت راغبة فى تصوير الكتيب — »

- « .. حتى وصلنا إلى الخان وعرفنا أننا فى أمان .. »

انتهت القصة ، بينما أنا أصغى باهتمام .. وكانت
الطفلة بدورها تصغى وقد بدا عليها نوع من الفخر
لأنها شاركت فى هذه المغامرة الليلية ..

سألت (ماجى) فى توتر :

- « وطبعاً عدت فى الصباح إلى نفس البقعة ؟ »

- « ولم أجد شيئاً غريباً .. لقد تم تنظيف البقعة
بغاية .. »

- « ولم تتخلى ما حدث ؟ »

- « أوه .. إن ما معى من جرعات عقار الهلوسة
قد انتهى للأسف .. »

نظرت فى عينها بثبات وقلت :

- « وهل فهمت الآن أنك آيت اجتماعاً للسحرة ؟
يقول الأوروبيون إن الغراب الذى يحضر هذه
الاجتماعات هو الشيطان ذاته ! »

قالت فى ضيق :

- « (رفعت) .. كف عن هذا السخف .. نحن فى
القرن العشرين يا بنى .. »

- « على قدر علمي لم يتوقف الإنسان عن ممارسة السحر منذ فجر التاريخ حتى هذه اللحظة .. لاحظي عدد الجماعات السرية Cult التي تمارس طقوسًا سحرية في أمريكا حتى اليوم .. لاحظي هذا الجمع الغريب بين ذروة التقدم التكنولوجي وممارسة السحر .. لا يوجد ما يمنع وكل خبراتي في الحياة تؤكد هذا .. سواء كان هؤلاء يمزحون أو يأخذون الأمور بجدية .. »

ثم رحت أقدم محاضرة قصيرة عن الموضوع :

- « كان الاعتقاد السائد في القرون الوسطى هو أن السحرة كائنات اجتماعية جدًا .. ولهذا يجتمعون في أطراف السهول أو الأعراش للموحشة .. ثمة سمعة سيئة بالذات لجبال (هرتز) شمال ألمانيا .. وتظهر الرسوم أن هذه الاحتفالات كانت استعراضًا لأحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا في التنكر وتغيير الشكل .. بعض السحرة كانوا يحضرون على أشكال

حيوانات غريبة .. وبالطبع لا بد من عصي المكاس لتي هي بمثابة بطلقة للدعوة لتلك الحفلات .. ويقولون إن الشيطان كان يحضر هذه الاجتماعات على شكل قط أو - على الأرجح - غراب .. وكان ثبت أن امرأة ما حضرت اجتماعًا كهذا كفيلاً بحرقها في غالبية الأحوال .. لقد أحرق رجل يدعى (جودفري) عام ١٦١١ لأنه حضر واحدًا من هذه الاجتماعات دون أن يشارك فيه .. وأحرقت طفلة تدعى (كاترين ناجوى) في فرنسا لأنها وصفت شيئًا شبيهًا بهذا .. »

هنا نظرت إلى الطفلة وتذكرت أين أنا فابتلعت كلامي .. الحقيقة أنها الآن مؤهلة تمامًا للعقاب لو كانت في القرون الوسطى ..

واصلت كلامي :

- « ما رأيته أنت في المقبرة كان اجتماع سحرة .. لاشك في هذا .. »

قالت (ماجى) باسمه :

- « على كل حال لادى مايبثت لئننى لم أكن واهمة ..
لقد قمت بتحميز الصور وهى عندى .. »

- « جميل .. وهل أبدى ستوديو التحميز إعجابه
بها ؟ »

- « لا أحد يطق على هذا .. وعلى كل حال
لا يمكن فهم ما تدور حوله الصور إلا لو كنت تعرف
ما تبحث عنه .. »

ثم نهضت وقالت :

- « سأحضرها لك .. »

- « بشرط أن يتم ذلك خلسة .. لا أحب أن يلتف
حولنا خمسون متحمسا .. »

- « طبعا .. »

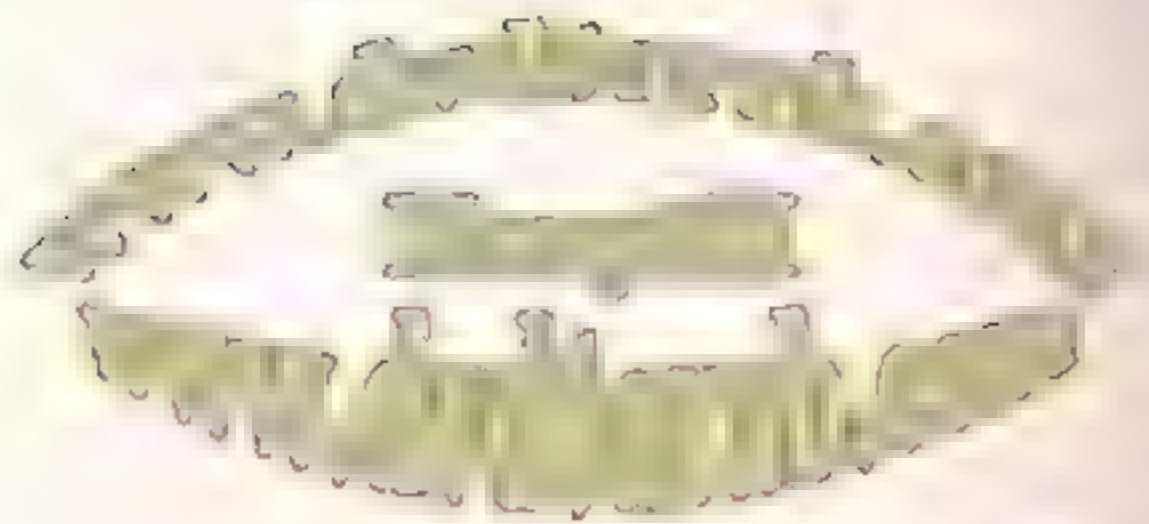
واتطلقت تعدو بخفتها المعهودة نحو حجرتها .. لن
أصدق أبدا أن هذه الطفلة للمرحلة تجاوزت الأربعين ..
إلا لو صدقت أنني فى العشرين من عمرى ..

هنا - ما إن ابتعدت (ماجى) - فوجئت بالطفلة
الأخرى تهتف بى :

- « يا للروعة !! »

ونظرت إلى حيث أشارت ..

وكان ما رأيته يخطف الأنفاس ..



٢- حسناء سوداء ..

وقفت الفتاة ذات الثياب السوداء أمام مسز (باتكروفت) مستندة إلى (الكاونتر) ..

كل شيء فيها كان أسود مثل د. (لوسيفر) ..
الشعر الأسود المنسدل حتى الكتفين شديد البريق ،
مما يذكرني بالسطوح المعدنية .. المعطف الأسود
الطويل .. التنورة السوداء .. للجوربان الأسودان ..
للحذاء طويل الرقبة الذي تتدلى سلسلة ذهبية على
طرفه العلوي .. ثياب غالية الثمن توحى بأنها من
أصل راق لا شك فيه .. ربما من سلالة إحدى الأسر
المالكة في أوروبا .. إنهم تحت كل حجر هنا ..

كانت جوارها على الأرض حقيبة ، وكان هناك
سائق يلبس ثياباً لا أستطيع شراءها ولو اخبرت
رأبى عشرة أعوام ..

سألها باحترام وببتك اللكنة الأوكسفوردية الخاصة
بمستندة الجامعات :

- « هل ترغب الآنسة في شيء آخر ؟ »

قالت بصوت خشن قليلاً قوى النبرات :

- « لا شيء يا (إدموند) .. يمكنك الانصراف
ولا تنس الموعد .. »

ثم استدارت إلى مسز (باتكروفت) وقالت :

- « بخصوص الغرفة التي حجزتها هاتفياً .. »

كان الأمر الآن أقوى من تحمل العجوز البريطانية
الفضولية .. وللحظات بدا أن الأسئلة تزدحم في
ذهنها بحيث لا تعرف من أين تبدأ .. الحقيقة أن
أسئلة مماثلة كانت تحتشد في ذهنها ..

من هذه الحسناء ؟ ما الذي يدفع مثلها إلى هذا الخلق ؟
هل لأنه الوحيد في (ليفورد) ؟ وما أهمية (ليفورد)
أصلاً ؟ ليست مكاناً سياحياً مهماً وبالتأكيد لا يوجد

كثيرون من هواة القلاع هنا .. أنت تفهمنى .. طراز
هذه الحسنة الثرية تجده حيث تذهب الحسناوات
الثريات .. أى مكان غير هذا بالتأكيد ..

ثم إن الحسنة أخرجت بعض الأوراق وقالت :

- « مس (بلاك) .. (لورين بلاك) .. من (شيفيلد) .. »

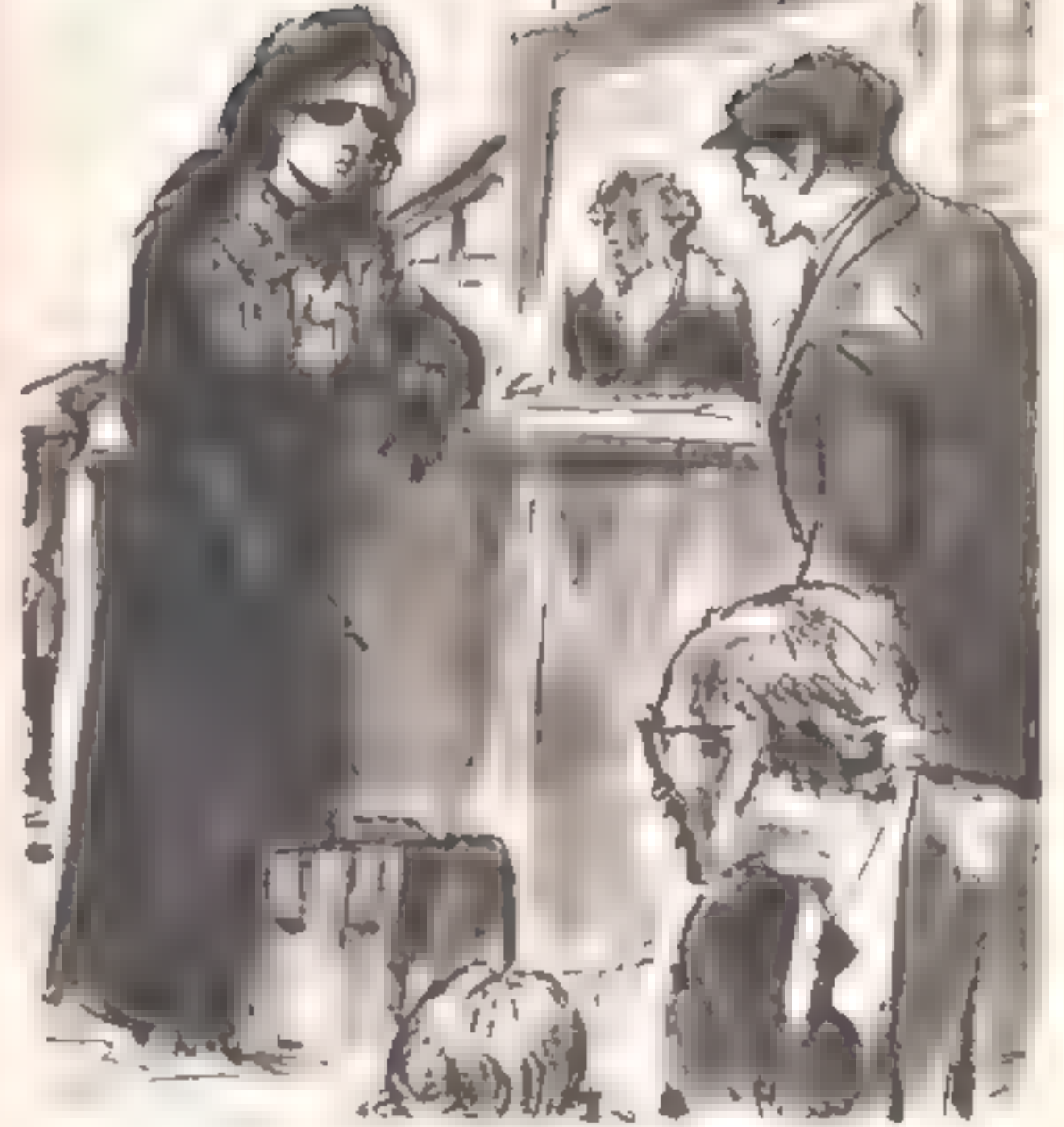
ثم تهجأت الاسم بصوت عال :

- « L .. O .. R .. E .. A .. N .. E » -

إذن المرأة كتبت الاسم Lorine كما كنت سأفعل أنا
نفسى .. لماذا لا تنطقه الفتاة (لوريان) كما أتوقع ؟

ثم دارت محادثة لم أستوعب منها الكثير ، لأننى
كنت أرمق الجالسين فى المكان والذين أرففوا جميعاً
السمع لانتقاط ما يمكن سماعه .. الحقيقة أن دخول
الفتاة أحدث توتراً ودهشة لا يختلفان عما لو كان
وشق الاستبس هو الذى دخل ..

كان هناك عجوز راح يمضغ غليونه .. وشاب التهم
المنديل الورقى بدلاً من قطعة الحلوى فى طبقه ..



قالت بصوت خشن قليلاً قوى الفبرات :

- « لا شىء يا (إدموند) يمكنك الانصراف ولا تنس الموعد »

وامرأة تسعت عيناها حتى لا تفوتها شاردة أو ولودة ..
فضول .. فضول .. وهو ما يقول لى إننى لست
مخطئاً فى دهشتى .. هذه البلدة لا ترى الغرباء ، فإن
رأتهم كانوا مثل (ماجى) التى لا تشعر أبداً بأنها
غريبة عنك ، وأنا بمظهرى الذى يقول بوضوح :
لا خطر منه .. إنه على الأرجح سيموت خلال بقلقى ..

وجاء صوت العجوز :

- « كم من الوقت تتوين الإقامة هنا ؟ »

- « ربما بقيت أسبوعين .. لا أعرف بالضبط ..
على كل حال سيعود سائقى بعد أسبوعين .. »

وهكذا جاء الخادم (ويليام) ليحمل حقيبتها ..
وأصدرت له المديرية الأمر : رقم (١٣) .. هذا الخان
إنه ليس ممن يحذفون الرقم ١٣ من أرقام الغرف
منعاً للتشاؤم .. وفى ثقة مشيت الحسناء وراءه بينما
صوت كعبى الحذاء يحدثان ذلك الصوت المنتظم :

تيك .. توك .. تيك .. توك ..

أخيراً عاد مستوى الأكرينالين فى دماء الجالسين
إلى مستواه الطبيعى ..

سألتنى الصغيرة فى خبث :

- « هى أعجبتك كثيراً .. أليس كذلك ؟ »

لتحشر شىء ما فى حنجرتى ، فعلجت ربطة العنق
لأريح رقبتى ، وقلت :

- « بلى .. بل نعم .. لم تعجبنى .. إن .. ما الذى
يدفعك لقول كهذا ؟ »

- « لم ترفع عينيك عنها ثانية ! »

وهو كذب واضح وافتراء لأننى قضيت أكثر الوقت
أراقب وجوه الجالسين .. لكنى قلت لها :

- « إنها غريبة على هذا المكان .. هذا كل شىء .. »

هنا كانت (ماجى) قد عادت حاملة مظروفاً ..
وجذبت مقعدها لتجلس ثم مدت يدها تحت المنضدة
وناولتنى الصور ..

رحلت أتفحصها من تحت المتضدة .. حقًا كانت
صورًا شديدة الإبهام .. هناك نسوة فى أوضاع
راقصة .. ومنظرهن عامة ليس مما يبعث الطمأنينة
فى النفس .. لكن تأثير عدسة الزوم قاتل ، مع فترة
التعريض الكبيرة التى جعلت الاهتزازات كثيرة ..

أعدت لها المظروف وقلت هامسًا :

- « لا يوجد ما يثير الريبة فعلاً .. لكن ربما كان
من الأفضل ألا يعرف أحد بأمرها .. »

تدخلت للطفلة - كغراب اللين - لتعلن لئننى كنت معجبة
بالزائرة الحسناء .. وطبعًا كان لابد أن تعرف منى
(ماجى) كل شيء عن تلك الزائرة الحسناء .. حكيت
لها كل شيء فقالت :

- « هذا غريب .. لكنى مسرورة لأن شيئًا من الحياة
ما زال ينبض فيك .. إن كل ماتعائيه من أمراض
لا يمنعك من أن تكون وغدا .. »

برغم هذا سررت للعصبية التى تكلمت بها .. هذا

يعنى أن كل شيء على ما يرام .. وما لا تفهمه هذه
الحمقاء أننى - فعلاً - أراقب الناس فى فضول كمن
يراقب نوعًا غريبًا من البكتريا تحت مجهر ..
لا انفعالات ولا عواطف من أى نوع .. إلا لو حسبنا
أن عالم البكتريا إذ يبتسم وهو ينظر فى مجهره ،
إنما يغازل العصويات التى يراها !

قلت لـ (ماجى) وأنا أنهض :

- « الآن اعتقد أننى فى أمس الحاجة إلى قسط
من الراحة .. غذا نبدأ استكشاف هذه البلدة .. »

هزت رأسها موافقة .. وابتسمت لى فى رقة وهى
تضم الطفلة إلى صدرها ..

تقع غرفتى رقم (١٢) فى الطابق الثانى .. ويلاحظ
من يجيدون الرياضيات منكم أن الرقم (١٢) ملاصق
للرقم (١٣) .. لمزيد من الدقة يواجهه .. إذن جارتى
هنا هى الأخت (لورين بلاك) ... أما (ماجى) فغرفتها
رقم (٩) فى الطابق ذاته ..

فتحت الغرفة واتجهت إلى النافذة كعادتي ..

كأنت موصدة بحيث لا يمكن فتح الزجاج الذي تغطيه ستارة رقيقة .. لكنني كنت أستطيع أن أرى من هذا الموضع أجمل مساحة من الفراغ رأيتها في حياتي .. لا معالم على الإطلاق ما عدا مرجاً واسعاً يمتد إلى ما شاء الله .. إن (ماجى) تعرف ذوقى بالضبط ..

كأنت التدفئة تعمل على ما يرام ، فبدأت ارتداء منامتى ووضعت حاجياتى فى الخزانة .. الحق أننى مرهق فعلاً ..

طرقات على الباب .. هذا هو (ويليام) طبيباً فلا بأس أن يراى بالمنامة ..

فتحت الباب فأصابنى الهلع لأن القادم كان المس (بلاك) بالذات .. أولاً أصابنى الخجل من مظهرى ، ثانياً لا أعرف بالضبط كنه الشئ المخيف فى هذه الفتاة حين تراها عن قرب .. إنها جميلة .. ربما هى جميلة أكثر من اللازم أو المقبول .. وهى فى هذا

تشبه جرعة زائدة من السكر تصيبك باضطراب الهضم وربما الغثيان .. منعقة للعسل الأبيض الكبيرة التى كانت أمك ترغبك على شربها برغم أنها (تشحط) فى حلقك .. وقدرت أنها فى العشرينات من عمرها ، وأنها على شئ لا يخفى من القسوة ..

قالت بصوتها الخشن العميق :

- « معذرة على التطفل يا سيدى .. لكن الخادم لا يرد على الجرس .. كنت بحاجة إلى عون .. »

- « نعم .. نعم .. أى شئ .. »

- « نافذة الغرفة غير قابلة للفتح .. كنت بحاجة إلى بعض الهواء النقى .. »

- « فى هذا البرد ؟ لكن .. ليكن .. لحظة حتى أرتدى الروب .. »

وطبعاً خجلت من أن أقول لها إننى عاجز عن فتح نافذة حجرتى ذاتها .. الرجال لا يرفضون طلبات من هذا النوع لأنها من صميم كرامتهم ..

لحقت بها فى حجرتها وكانت نسخة طبق الأصل
من حجرتى أنا .. اتجهت للنافذة وأمسكت بعارضتها
ورفعت لأعلى ، وهوب ! تدفق الهواء البارد ليلسع
صدرى ..

كانت غير موصدة أصلاً .. لا بأس .. لقد أنقذنا
كرامتنا الرجولية ولو بنصر مزيف ..

قالت لى فى امتنان :

- « شكرًا جزيلاً .. أنا أقدر هذا .. بالمناسبة ..
لا تبدو لى من القارة أصلاً .. لنقل إن ملامحك شرق
أوسطية .. »

اعتدت دومًا أن أبدو أجنبيًا فى كل مكان .. فى
إفريقيا أنا أبيض جدًا ، وفى أوروبا أنا أسمر جدًا ،
وفى آسيا أنا أحمر جدًا .. على كل حال هذه الفتاة
تتمتع بالملاحظة الدقيقة ..

- « أنا مصرى .. دكتور (إسماعيل) ..
(رفعت إسماعيل) .. »

- « (لورين بلاك) .. مس .. كاتبة قصصية محدودة
الشهرة .. من (شيفلد) .. »

هكذا بدأت القصة تبدو على شيء من المنطق ..
لا يزور هذه الناحية إلا مجنون مثلى و (ماجى)
أو كاتب قصصى يريد أن يعيش بيئة قصته .. لعلها
تكتب عن قلاع (أيرلندا) .. لقد تعودت أشياء كهذه
من الكاتبات البريطانيات ، حتى إننى أتخيل أن (أجاثا
كريستى) أو (دافنى دومورييه) لم تجلسا قط إلى
مكتب فى داريهما .. طيلة الوقت هما فى فنادق فى
كل ركن من العالم ..

- « أى نوع من القصص تكتبين ؟ »

- « أشباح !! لا تنس أنك فى بريطانيا حيث أحفاد
(هنرى جيمس) .. هنا تجد الرعب البريطانى الذى
يلمح بالخطر لكنك لا تراه .. يصفونه بأنه (رعب
الأشياء التى تتحرك خارج مجال بصرك .. فإذا أبرت
وجهك نحوها لم ترها) .. »

كاتبة رعب فى غرفة جوار (رفعت إسماعيل) !
لو تعرف هذه الفتاة أى كنز يقف أمامها الآن ! رعب
الأشياء التى تتحرك خارج مجال بصرك .. يا سلام ! فلماذا
عن رعب الأشياء التى تقف أمامك ، وتعرف عنوان
دارك ، وتمشى فى شفتك ليلاً وتقف جوار فراشك ؟

على كل حال لا أنكر أن اسمها له رنين مرعب ..
ويبدو أن هذا شرط مهم لنجاح كتاب الرعب .

تمنيت لها ليلة طيبة وعدت إلى غرفتي ..

ولم يفتنى قبل أن أغلق باب غرفتي أن لاحظ أن
موضوع النافذة هذا كان ذريعة .. لو أن طفلاً مد يده
لفتحها ..

هذه الفتاة أرادت أن تفتح اتصالاً معي .. فلماذا ؟

أى رجل آخر سيقول إن سحره الرجولى بدأ يعمل ..
أما أنا فأعرف نفسى جيداً ..

هناك سر غامض وراء هذه الفتاة .. غامض وآمل
ألا يكون مخيفاً كذلك ..

٣- أحداث ليلية ..

كنت قد غبت تماماً فى ملكوت النوم ، حين تصوير
غير ذى حول ولا قوة .. إنه الموت بكل تفاصيله
ولاشيء إلا إرادة الله التى تجعلنى أفتح عيني بعد
هذا كله وأنشأب ، بدلاً من أن أبدأ فى التصلب الرمى
فالتعفن ..

طرقات على الباب .. طرقات .. طرقات ..

بشكل ما دخلت هذه الطرقات إلى الحلم كعادة أحلام
(المنبه) ، ثم أفقت فهرعت إلى الباب .. الخان
يحترق بالتأكيد ، والدم كله احتشد فى قدمي فترنحت
وقد اسود العالم للحظة ..

فى النهاية وجدت المفتاح ففتحت ، وكان من رأيت
هو (ماجى) والطفلة .. كلاهما ممتقع الوجه
منكوش الشعر يرتدى الروب ..

- « كم الساعة الآن ؟ »

صلحت (ماجى) دون أن تنتظر حتى أعرف الإجابة :

- « (رفعت) ! لقد سُرقت غرفتى ! »

يا فتاح يا عليم .. يا رزاق يا كريم ! لا أحد يريد أن يتركنى أسترد توازنى .. وهكذا وجدت نفسى أضع الروب على كتفى ، وأثبت العوينات ، وألحق بها فى غرفتها ...

كانت باردة كثلاجة - الغرفة لا (ماجى) - برغم أن جهاز التدفئة يعمل جيدا .. ولم أستطع أن ألاحظ شيئا غير عادى أو منفرا .. لكنها لم تحك قصتها بعد .. لهذا واصلت الكلام وهى تمرر يدها فى شعر الطفلة الأشقر حتى كانت تصيبها بالصلع :

- « أنت تتساعل لم النافذة مفتوحة .. أنا أيضا تساعل ! لقد نمت مع (إلياتور) بعد رحيلك بمساعة .. وكانت النافذة موصدة .. هل تفهم ؟ موصدة ! ثم صحوت شاعرة بأننى موشكة على التجمد .. وجدت أن النافذة مفتوحة .. ووجدت أن هناك من عبث فى

حاجياتى .. لم يختف مال ولا حلى .. فقط الصور اللعينة وكل ما كان معى من أفلام تم تحميضها ! »

رحت أحك راسى محاولاً أن أبعث بعض النشاط فى كتلة الهلام تلك :

- « غريب .. وهل .. الكاسيرا ؟ »

- « موجودة !! »

- « هذا غريب .. »

وأضفت :

- « هلا أطلقت سراح الطفلة ؟ إن شعرها كله قد انتصب بالكهرباء الاستاتيكية .. لسوف تتبعث منها الصواعق حالا .. »

واتجهت إلى النافذة فعالجتها كما فعلت مع تلك التى فى غرفة الفتاة .. واختلست نظرة إلى الخارج .. هل هذا الوافق على الشجرة هناك غراب ؟ لا .. هذه أوهام .. هناك إفريز يمر تحت النافذة بالضبط .. فهمت .. إفريز يمر تحت كل نوافذ الطابق .. للنوافذ ذات الرقم الفردى مثل ٧ و ٩ و ١١ و ١٣ و ١٥ ..

من هذا الطريق جاء المتسلل الذي لا بد أنه رشيق
كالفراشة .. إن نوم (ماجى) ليس عميقاً على الإطلاق ،
ولا يستطيع التسلل جوار فراشها إلا فراشة ..

أغلقت النافذة وكانت لينة فعلاً سهلة الإغلاق ..

ثم جلست على طرف الفراش ورحت أفكر قليلاً ..

فكت لها وأنا أتسلى بهز خفى المتدلى من قدمى
التي وضعتها على ركبتي :

- « الأمر واضح وإن نضجع الكثير من الوقت فى
فهمه .. الصور كانت تمثل خطراً بالنسبة للبعض فى
هذه البلدة .. إنها الدليل على أنهم كانوا فى المقبرة
فى تلك الليلة .. هذا سلوك من يريد الصور بأى
ثم .. »

تربعت على الأرض المغطاة بالموكيت ، وحركت
خصلات شعرها الأشقر مفكرة ثم قالت :

- « لكن الصور لم تكن بهذا الوضوح .. »

- « بالنسبة لنا .. لكن لو أن أحد أهالى البلدة رآها

لهتف : ويلي ! هذه (جين) !! يا للغرابة ! هذه
(مارى) ! إن من يعرف تلك الوجوه من قبل
سيعرفها على الفور فى الصور .. »

- « ومن قال لهم إن هذا الفيلم معي ؟ »

- « أولاً هن رأين فتاة ومعها طفلة تركضان ..
والفتاة تحمل حامل كاميرا .. ما كل هذا الذكاء ؟ لاحظى
أن حامل الكاميرا يستخدم غالباً لحمل كاميرا ، ويندر أن
يستعمل لتنظيف الأتربة .. ثانياً : أعرف طريقك الشهيرة
فى افتراض أن كل شيء آمن وأنى مصلب بالبارانويا ..
بالطبع هناك ألف واحد رأوا هذه الصور معك .. »

ظلت تنتظر للموكيت كأنما تريد أن تثقبه .. من
الغريب أنها فى أروع صورها بهذا الشعر المنكوش ،
وذلك الوجه شبه المنتفخ من النوم .. قالت لى :

- « ومن فعلها ؟ »

- « أحد سكان الغرف فردية الرقم مثل
٧ و ٩ و ١١ و ١٣ و ١٥ .. أو خادم الغرف لو كانت

هناك غرفة خالية .. أو أى واحد من أهل البلدة
يمكنه تسليق ماسورة المياه إلى هذا الطابق .. إن
الاحتمالات محدودة جدًا كما ترى !

- « وماذا ترى ؟ »

- « أعتقد أنه لم يُسرق منك شيء ذو أهمية بلغة ..
صور القلاع يمكن إعادة التقاطها .. لا داعى لإحداث
شوشرة لن تقود إلى شيء ، ولربما كان إخبار معمر
(باتكروفت) هو الحل الأصوب .. هذه النافذة تحتاج
إلى تقوية .. »

ابتسمت فى غموض وقالت :

- « هناك شيء مهم قد سرق .. »

- « وما هو ؟ »

- « الإحساس بالأمن .. لا أطيق أن أتصور أن متسللاً
كان فى غرفتى ، بينما أنا والطفلة نائمتان واهنتان
هشتان .. »

نهضت واتجهت إلى الباب ، وقبل أن أخرج قلت
لها :

- « (ماجى) .. هل تتزوجيننى ؟ »

قالت فى بساطة وهى تمسك بالباب :

- « لا .. »

- « إتنى سأحميك من المتسللين الليليين .. على
الأقل سأموت أولاً فأمنحك فرصة الفرار .. »

- « سأفكر فى الأمر .. »

فرغنا من مشاهدة معالم البلدة ، وقد تظاهرت
بالحماسة فقط كى أرضيها .. لكنى عاجز تماماً عن
الانبهار بمجموعة من القلاع العتيقة تطل على
المحيط .. دعك من أننى مصرى ، حيث تجد أثراً
مهماً تحت أى حجر بلا أننى مبلغة .. ألم يكن الفلاحون
ينتزعون قطعة من معبد (السيرابيوم) كلما احتاجوا

إلى بعض الحجر الأبيض ؟ ألم يظه البدو عشاء
الإيطالي المقامر (بلزوني) على المومياوات المشتعلة
باعتبارها أفضل من الأخشاب ؟ كيف أتحمس بعد هذا
لقلمة البارون (فلان) والإيرل (علان) ؟

في النهاية قادتنا الجولة إلى المقبرة الرهيبة ..

إنها مكان يثير من الأفكار أكثرها جموحاً
وسوداوية بالفعل ..

من هذا المكان ترى الكنيسة من بعيد ، وترى
مروجاً خضراء تبدو كأن بشرياً لم يمش فيها من
قبل ..

مشيت (ماجى) وسط الشواهد كأنها تعرف
بالضبط ما تبحث عنه .. ثم توقفت في موضع ما
وهتفت في اتصاار :

« بالضبط هنا .. »

كانت تتحدث عن حفل تلك الليلة ..

مشيت إلى حيث وقفت ورحت أتأمل الأرض .. حقاً
لا يوجد أثر لشيء .. لو كانت هناك آثار ما فقد
أزيلت بعناية .. توجد بعض آثار الطبشور لكنك
لا تستطيع أن ترى شيئاً .. لن تجد نجمة خماسية
لو كنت تفكر في هذا ..

أما ما لفت نظري هو أن هذا المكان قبر ... كان
هناك شاهد قبر تشابكت عليه الأعشاب والنباتات
الشيطنية بحيث صار من المستحيل أن ترى بقعة
معقولة من الحجر .. لكن - وهذه نقطة مهمة - كان
العشب ممزقاً في أكثر من موضع ، كأنما هناك من
كشف هذا الشاهد ، ثم أعاد تغطيته ..

أزحت العشب بلارفق .. وكان هناك عدد لا بأس
به من الأشواك ، لكني كنت ألبس قفازاً ..

أخيراً تمكنت من رؤية الشاهد واضحاً .. كان جلياً
لأنه قديم جداً .. لكن لا خطأ هناك .. لا يوجد حرف
واحد على الحجر ، فلم تكن عوامل التعرية هي
المسبب ..

قلت لها وأنا راكع على ركبة واحدة :

- « هل تفهمين ؟ لم يكتب حرف واحد على هذا
الشاهد .. فماذا تستنتجين ؟ »

قالت في توتر وهي تتفث الدخان الأبيض من
فمها :

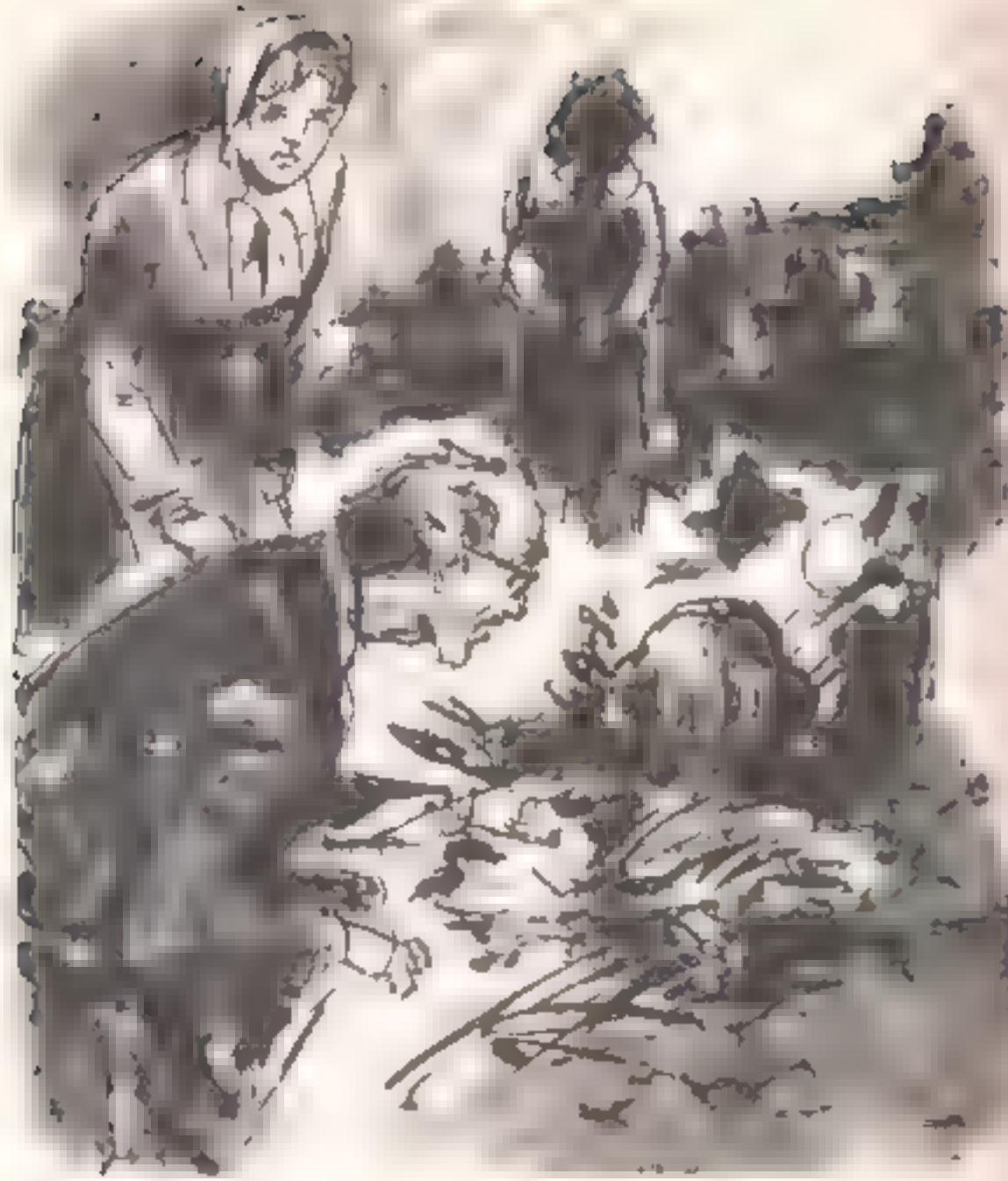
- « أعتقد أنها كانت من علامات الحرمان الكنسى
فى القرون الوسطى .. أو ربما صاحب هذا القبر كان
على صلة بأعمال

- « كان ساحرًا وأعدم .. لماذا لا تقولينها ؟ »

- « لأن هذا كلام فارغ .. »

- « حسن .. لنقل إتنى لا أعرف إن كان ساحرًا
أم لا .. لكن المؤكد أن من حوله حسبه كذلك .. »

وساد صمت طويل .. فقط رحت أنظر إلى المقبرة
الخالية ، والطفلية (إيانور) التى وقفت هنالك فى
الخارج تنتظرنا .. طبقا لم يكن من المستحب أن
تزرع معنا هذا الجزء ..



وساد صمت طويل فقط رحت أنظر إلى المقبرة الخالية ،
والطفلة (إيانور) التى وقفت هنالك فى الخارج مسطوما

قلت له (ماجى) :

- « وهاته النسوة كن يقمن احتفالهن فى هذه
البقعة بالذات .. »

- « نعم .. »

- « إتهن يأتين فى الليالى المقمرة ! »

جاء هذا الصوت من خلفى فأجفت واستدرت
لأرى المتكلم ..

كان من الطراز الذى تراه فى مراجع علم السموم
وقد كتبت تحته (أعراض الكحول المزمن) .. سكير
بلغه أقرب إلى فهمنا .. كان رث الثياب أحمر
الأنف .. فى العقد السادس من عمره .. يترنح
بشدة ..

قال وهو يحاول الوقوف منتصبًا :

- « أنا (جيمس إيوود) حارس هذه المقابر .. هك !

ولاداعى .. هك ! أن أقول لك إتنى أعرف عم
تتكلمان .. أعرفه تملما .. »

لهجة أيرلندية قوية لا يمكن أن تخطئها .. كأنما
يقلد شخصًا أيرلنديًا !

تشبعت (ماجى) الهواء فى اشمزاز وغمفت
بصوت مسموع :

- « كحول فى هذا الوقت ! »

صاح الرجل وقد سمع ما قالت :

- « أنا لم أقرب الخمر قط ! كلهم يحاول إثبات
أتنى سكير وأن كل هذه هلاوس .. لكنى أعرف
ما أقول .. هؤلاء النسوة يأتين عندما يكتمل القمر
ليمارسن طقوسًا لا يعلم إلا الله ما هى .. »

قلت له فى حذر :

- « أنت لا تقترب الكحول ؟ لعلك مصاب بخلل فى
المخيخ إذن ؟ »

« الآن أقربها ! أقربها كثيراً ! لقد دمرت هذه المقبرة اللعينة أعصابي والمشكلة أن سنى لا تسمح لى بالرحيل والبحث عن عمل جديد ! »

سألته (ماجى) وهى تدس يديها فى جيبى معطفها الطويل :

« هل تعرف صاحب هذا القبر ؟ هذا الشاهد الذى بلا اسم ؟ »

« هى ! منذ عهد جد جدى ونحن حراس هذه المقابر .. حكى لى جدى شيئاً عن ساحرة بقت هنا .. ساحرة حرقوها فى ساحة البلدة .. هذه القصص كثيرة على كل حال .. هك ! »

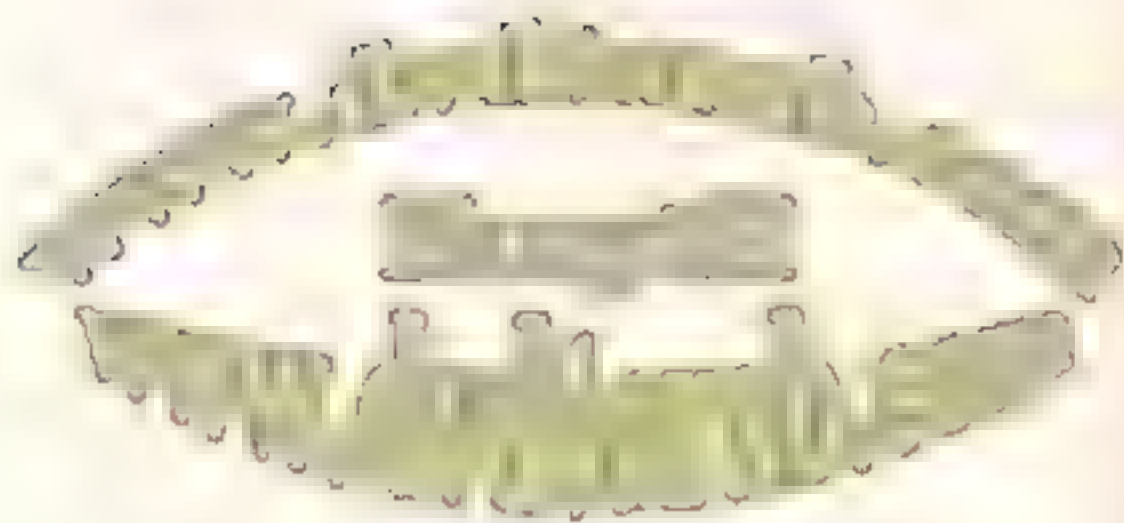
ثم ابتعد وهو يترنح ويقول كلاماً أيرلندياً كثيراً لم أستوعب منه حرفاً ..

قالت (ماجى) باسمه بعدما رحل :

« ما رأيك ؟ القصة واضحة ومكتملة .. إن الساحرات يزين أمهن الروحية .. »

« يبدو الأمر كذلك .. لست من الطراز المتفائل ، لكنى أعتقد أن القصة انتهت عند هذا الحد .. »
هذا خطأ آخر ..

أنتم تعرفون أن هذا خطأ آخر ..



4- عن (رونيل السوداء) ..

في التاسعة مساءً جلسنا في قاعة الجلوس نثرثر،
والجريدة أمامي لا أفهم عم تتكلم ..

إن (ماجى) لم تتغير قط .. قلت هذا مائة مرة
وأقوله مرة أخرى .. دعابات تلقيني من على المقعد
ضحكاً، ورقة (تكاد تنبت الزهر في قلب الصخرة
الجلمود) على رأى عمنا العبقري (الشابى) ..
ولربما (ظهارة تبعث التقديس في مهجة الشقى
العديد) كذلك ..

رحت أرمقها وهي تتكلم .. كالعادة لم أع حرفاً مما
تقول لأن خواطري تراحمت .. أصغيت لها أكثر من
اللازم حتى لم أعد أفهم شيئاً ..

لماذا لا نتزوج ؟ لقد أجبنا عن هذا السؤال ألف
مرة ، والإجابة تبدو واهية لكنها الحقيقة .. كل منا

يريد أن يبقى الآخر على مسافة كى يظل رمزاً
عزيزاً أبدياً .. حين يتحول الآخر إلى معنى ..

لكن ما يثير جنونى بصدد (ماجى) هو التفكير في كل
الساعات التى تعيشها بعيداً عنى .. كل الأفكار الذكية
والدعابت والرقّة التى تشعها من حولها ، بينما أنا فى
شقتى الكنيية أقسم الأشباح الطعم .. بمضى تلك الشعور
المزمن بأنها (ستنفد) .. لن يبقى منها شيء لى
لأن مصير الشموس كلها الخمود (الإستروبي) ..
لو استطعت لاستوليت على ماضيها وحاضرها وغداها
بوضع اليد .. كل الأعوام التى فلتتني وهى طفلة ، وكل
الأعوام التى ستفوتنى حين لختفى فى القبر .. كل هذا يجب
احتكاه .. ربما لو كان هناك محام بارع لاستطاع أن ...

- « (رفعت) ! أنت لا ترفع عينيك عنها ! »

تباً لكن من ظالمات ! أنا أرتدى عوينات القراءة
ولا أرى أبعد من متر أو أقل .. ثم إبنى غارق فى التفكير
فيك وهرغم هذا ...

- « لا أعرف عن تتكلمين .. »

« تلك المرأة السوداء .. نزيهة أمة .. طبعاً .. »
هنا فقط فهمت عمن تتكلم ، وبدلت العوينات ..
عوينات المسافات كي أرى أفضل .. كانت تلك الأنسة
جالسة إلى منضدة مجاورة تشرب الشاي وتطالع
الجريدة مثلى .. رفعت عينها فرأتني فهزت رأسها في
رقة ، وهتفت :

« عمت مساءً يادكتور .. صارت نافذة غرفتي
سليمة .. شكراً لك ! »

همست (ماجى) بصوت كالفحيح :

« نافذة غرفتها ؟ متى وكيف ؟ »

قلت وأنا أبدل العوينات :

« نافذة غرفتها كانت متييسة .. وقمت بفتحها
لها .. »

« ومنذ متى تجيد فتح النوافذ ؟ ألاحظ أن فتح
الجرار قد أصابك بنوبة قلبية .. »

فى هذه اللحظة دخل المكان شاب على درجة من
لوسامة .. كان فارح القلعة قوياً يبدو أنه خلق ليمثل
أفلام رعاة البقر مع (جارى كوبر) أو (جون واين) ..
حين كان أبطال الأفلام يوجهون لكمات قوية إلى فك
أعدائهم ، قبل أن يظهر اختراع الركلات .

وتصايح الجالسون :

« قد عاد (أونيل) ! »

عاد ؟ أين كان إذن ؟

بدأ الحوار الأيرلندى الذى أتعنى بالفعل أن الأيرلندية
لغة لا علاقة لها بالإنجليزية .. حين يتحدث هؤلاء
القوم مع بعضهم يأخذون راحتهم ويستحيل عليك
فهم حرف واحد ، بينما حين يكلمونك يحرصون على
جعل كلامهم مفهوماً لك .. نفس الظاهرة تلاحظها
مع الأسكتلنديين .. ومع رعاة لندن حين يستعملون
لهجة (الكوكنى) ..

قالت (ماجى) :

- « هذا الفتى كان فى (دوبلين) يجرب حظه فى التمثيل مع فرقة مسرحية ما .. »

- « سينجح لو كان الدور المطلوب هو باب مخزن .. »

ثم إن الفتى نظر نظرة عابرة إلى الفتاة السوداء الجالسة وحدها .. رأيت أنه يترك المحيطين به ويتجه نحوها .. يقف أمامها .. يتكلم معها فى لباقة والفتاة تبسم ثم تضحك .. تشير إليه كى يجلس .. هذه الفتاة أرسقراطية لكنها ذات ميول بروليتارية لاشك فيها .. فالفتى لا يبدو من طبقتها على الإطلاق ..

وقف رجل مرح جوار منضدتنا وقال :

- « (ويليام أونيل) .. إن الفتى يعرف كيف يروق للنساء .. »

ثم مد يده لى مصافحا وقال :

- « (باتريك بارنيل) .. من أعيان البلدة .. بمعنى آخر أنا عاطل بالوراثة .. »

نظرت له (ماجى) فى فضول وهتفت كمن دق الاسم جرما فى رأسه :

- « أنت ... »

- « نعم .. من أسرة (بارنيل) .. وهى أسرة اشتهرت فى سلك القضاء .. إتنا علامة على هذه البلدة .. لكننى لم أحرص لقاتون أو بمعنى آخر لم أأكمل دراسته .. »
دعوتهُ للجلوس فشد مقعدا وجلس ، ومد يده بداعب شعر (إلياتور) .. لن أدهش لو عادت الطفلة لأمها صلعاء تملأ بعد هذه الرحلة .. لسبب ما يفترض للجميع أنها كلب (بلاك جاك) يجب المسح على رأسه ..

بعدما تم التعارف قال لى :

- « لا تؤلخنا .. نحن الأيرلنديين قوم حارو العواطف مرحون ، ولسنا ثقيلى الظل منشين كالإنجليز .. يقولون إتنا سريعو الغضب مبالون للشجار .. هذا صحيح .. لكن هذا يدلك أكثر على طيبة قلوبنا .. »

وأشار إلى الجالسين حولنا وبدأ يشرح لى :

- « كل واحد من الجالسين هنا لم يترك البلدة قط .. كل واحد يعرف أجداده وأجداد الآخرين .. يمكنك أن ترى الجميع هنا لأن هذا الخان أقرب إلى النادى .. هل ترى هذا الرجل المتأنق كثر الحاجبين ؟ إنه السير (جون مليجان) سليل أسرة (مليجان) الأرستقراطية .. كانوا دومًا أكثر الناس ثراءً فى هذه البلدة .. هل ترى هذا العجوز البدين الذى ينظر فى ساعة الصدى ؟ إنه آخر أحفاد (كيليبارون) الذين حكموا هذه البلاد فى عصر الإقطاع .. أنت رأيت قلعتهم .. لكنه لا يعيش هناك .. هذا الذى يحتسى القهوة هو القس (كيرباتريك) .. وهو من أسرة قساوسة لا تدرى من أين بدأت .. ربما منذ دخول المسيحية إلى أيرلندا .. »

قلت مبتسمًا فى خبث :

- « يبدو أن الزمن لا يتغير هنا .. لو كان فى هذه

القاعة خبير قتابل ذرية ، فلا شك أنك ستقول إن جده كان خبير قتابل نووية فى القرن الخامس .. »

- « هو ما تقول .. هو ما تقول .. »

هنا مالت (ماجى) عليه وسألته السؤال الذى كنت سأسأله بنفسى :

- « اليوم وجدنا قبرًا ليس على شاهده كتابة .. لقد أثار هذا فضولنا .. هل تعرف هذه القصة ؟ »

قطب للحظة كأنما يتذكر ثم هتف فى مرح :

- « آه ! يا للغرابة ! (رونيل السوداء) !! كنت قد نصيت هذه القصة تمامًا !! »

هنا دوى صوت تهشم الزجاج !!

قالت (لورين) بصوتها الخشن نوعًا :

- « أسفة .. سأدفع ثمن ما هشمت .. »

قالت مسز (باتكروفت) وهى تجمع بقايا براك
الشاي الخزفي بالمكنسة :

- « لا عليك .. هذه أشياء تحدث لأى واحد .. »

وقال الشاب فى شهامة وهو يجفف مفرش المائدة :

- « إن مسز (باتكروفت) تعرفنى .. سوف أسوى
الأمر فلا تقلقى .. »

راح مرافقتا السيد (بارنيل) ينظر إلى الفتاة فى
فضول ، ولاحظت نظراته بدورها فنظرت له فى حدة
لا شك فيها .. ثم التفت لى وتساءل :

- « ما زلت لا أفهم سبب وجودها هنا .. »

- « كاتبة قصصية هى .. كنت تعرف هؤلاء الكتب .. »

- « قلت إن اسمها (لورين) ؟ غريب .. ليكن ..
والآن أكمل قصتى .. أين كنا ؟ أه .. هل تعرف أن
(رونيل السوداء) هذه اتهمت بالسحر ، وكان للقاضى
الذى حكم عليها بالحرق هو جدى القاضى

(ستيوارت بارنيل) المحترم ؟ كان صارمًا يختلف كثيرًا
عن أطفاله ، وقد أعدم سلحرات كثيرات برغم أن هذه
القصص نادرة فى إنجلترا .. لمنا فى إسبانيا أو فرنسا .. »

دخل المكان رجل يوحى بعدم الكفاءة .. لو كان سبيلًا
فهو خائب ، ولو كان طبيبًا فهو غبى ، ولو كان ...

- « هذا رئيس الشرطة (آرثر بيرك) .. إنه لا يصل

شئنا على الإطلاق وراتبه يناسب ما عمله بالفعل .. »

هذا رئيس شرطة ! فى بلدة هادئة مسالمة كهذه
يكون هذا الرجل كحارس المرمى الذى لم يختبر ..
لكننى أعرف نتائج عمله جيدًا من شارببه الكث
المتهدل ونظرة عينيه الرخوة ، وثيابه الزرية ..

ثم إن الرجل - (بارنيل) - راح يحكى لنا ما اعتقد أنك
قرأت ملخصه فى بداية الكتيب .. هناك تفاصيل معينة
أخرى أبقيتها لنفسى ، وتفاصيل نسيته ، وتفاصيل
يحسن أن نساها ..

ظللتنا نتحدث طويلاً جداً حتى إن الطفلة احمرت
عينها، ثم وضعت رأسها الأشقر الصغير على كتف
(ماجى) وراحت تغط.. أعترف أنني إن كنت أكره
الأطفال فأنا أحبهم نائمين.. إنهم يبدون ملائكة
بالفعل يختلفون تماماً عن الشياطين التى يكونونها
وهم متيقظون.. وقالت (ماجى) فى رفق:

- «سأضعها فى الفراش ثم أعود..»

ولسنت الطفلة متحاملة حتى تصل بها إلى الغرفة..

نهض القس أولاً وحيثما جميعاً فى رصلة، ثم اتجه
إلى الباب..

فى هذه الأثناء بدا أن صداقة حقيقية تعقدت بين
الفتى (أونيل) وتلك الأرستقراطية..

رأيتهما ينهضان وهما يواصلان حديثاً ضاحكاً
هائماً، ثم اتجها إلى الباب بدورهما.. ونظر (إليوت)
من وراء كتفه إلى الرجال نظرة من طراز (إياكم - أن

- تتناولوا - ميرتنا - بالصوء - وإلا - لويل - لكم) ..
فخفض الجميع عيونهم إلى أكوابهم..

لكن ما إن خرج حتى هتف (باتريك بارنيل):

- «بارع هذا الفتى بحق!»

وغمغم أحدهم فى ضيق:

- «إنهن منطلقات فى (شيفيد) ولسن مثل نساءنا
اللواتى يحلقن نقونهن يومياً..»

ثم ساد الصمت لأن (ماجى) قد عادت، وهى
تفهم الإنجليزية لو كنت تدرك هذا!

ثم بدأ أكثر الموجودين فى الانصراف.. هنا دوى
صوت للغراب..

تبادلنا النظرات.. لم يكن التأثير العام مريحاً، لولا
أن قطع (بارنيل) الصمت بترديد مقطع من قصيدة
(بو) الشهيرة (الغراب)..

- «غربان هنا؟ لم أسمع أحدها هنا قط..»

- «هذه الأشياء تحدث..»

وحياتى الرجل ونهض .. بينما جلست مع (ماجى)
لمدة ساعة أخرى ..

هناك دائماً تلك اللحظة المؤسفة التى تدرك فيها
حقيقة أنك لن تظل هنا للأبد .. لا بد من كلمة (مساء
الخير) .. ثم تصعد إلى حجرتك ثملاً بالأحلام ..
تترنح فى صعودك الدرج ، وتنزلق قدمك .. تدخل
غرفتك ورأسك ينبض بأشياء كثيرة إلى حد أنك
لا تعرف فىم كنت تفكر على الإطلاق ..

أعرف هذه الأعراض جيداً ..

وفى الصباح عرفنا نبأ موت للضحية الأولى ..

5- وتهاوى السد ..

لم يكن هناك الكثير مما يقال ..

لم يعرف أحد نبأ الوفاة إلا فى المسابعة صباحاً
حين جاء باع الجرائد إلى الخان ، وكان معاداً على
أن يجتاز الزقاق المجاور .. هذا ممر لا يهواه
الكثيرون لأنه قذر ، لكن الفتى كان يحبه لأنه يختصر
الكثير من الوقت ...

وكانت جثة القس ممددة على الأرض ، ويبدو أنه
لم يتعذب كثيراً لأن الضربة التى هشمت رأسه من
الخلف فعلت كل شيء فى الوقت ذاته ..

طبعاً أصيب الفتى بالهستيريا ، وركض إلى الخان
وهو يولول ويصرخ .. يصرخ ويولول .. وكانت هذه
الضوضاء هى ما أيقظنا من سباتنا ..

تحول المكان إلى خلية نحل .. فهذه البلدة لم تر

حدثاً غير تقليدي ربما منذ حرق (رونيل السوداء) ..
وجاء رجل الشرطة غير للكفاء (آرثر بيرك) وقد
بدا عليه ارتباك شديد .. هو لا يعرف كيف يبدأ ..

راح يسأل هذا ويسأل ذاك ويسجل أشياء في دفتره ،
لكنه كان عاجزاً عن تجميع أفكاره ..

المشكلة هي أنه كان جالساً فعلاً عندما غادر القصر
للخان .. أي أنه يعتبر واحداً من آخر من رأوه ..
والسؤال هنا هو : من يكره القصر إلى حد ضربه
بمطرقة على مؤخرة رأسه ؟

- « كيس رمل ! ليس مطرقة بل كيس رمل ! لا تنس
أننا في إنجلترا بلد (أجاثا كريستي) حيث يحبون
القتل بكيس رمل مليء .. أو قطعة ثلج مرعان
ما تذوب جوار الضحية ليختفى سلاح الجريمة ! »

قالتها (ماجى) فى شيء من المخزية المريرة
ونحن جالسون إلى مائدة الإفطار .. ثم أضافت :

- « أنت هنا ! للواقع أنتى بدأت لتساءل عن الكارثة
ولماذا لم تحدث ! »

- « هذا غير عادل .. »

جاء (بيرك) وطلب قنحاً من الشاي ، ثم اتجه إلى
حيث جلسنا إلى المنضدة ، فقال :

- « معذرة أيها السيدان .. الحقيقة أنتى يجب أن
تقل عليكما بالأسئلة لأنكما غريبان فى هذه البلدة .. »
قلت له باسمًا :

- « هذا من حقك ياسيدى .. لكن لاحظ أننا كنا
جالسين أمامك .. ثم صعد كل منا إلى حجرته أمامك
أيضاً .. هل غادر أحدهما الخان ليلاً ؟ »

- « لا .. مسز (باتكروفت) تقول لا .. لقد تأكدت
من هذا .. »

وداعب شاربه فى حنكة بوليسية ثم أضاف :

- « هناك تلك الفتاة من (شيفيلد) .. لكن (أونيل)
لم يتركها لحظة .. وقد عادا إلى الخان بعد ساعة ..
لنا أنتى بـ (أونيل) طبعاً .. »

قلت له وأنا أرشف القهوة :

- « اعتقد أنك بحاجة إلى آخرين .. (سكوتلانديارد)

أو شيء من هذا القبيل .. »

- « هناك فريق جنائى قادم اليوم .. لكن من واجبى

أن آخذ بعض البيئات .. »

وبالفعل جاء بعض السادة شديدي الأهمية عند

الظهيرة .. كانوا يرتدون المعاطف الخاكية ويرمقوننا

فى شك ، ومعهم عربية إسعاف وضعوا فيها للجثة ،

ثم راحوا يستجوبون الجميع ويعرفون كل شيء ..

فى النهاية - عندما اقترب المساء - نظروا لنا فى

كراهية ثم انطلقت سياراتهم عائدة إلى حيث جاءت ..

إلى أين ؟ إلى المكان الذى يأتى منه الرجال شديدي

الأهمية الذين يرتدون المعاطف الخاكية ..

لا أدري لماذا شعرت بحاجة إلى أن أمشى قليلاً فى

البلدة فى هذه الإضاءة الغريبة .. إضاءة المساء

المقبل ..

قدماى حملتاني إلى المقبرة إياها .. ووقفت فوق

مرتفع صخري أرمى المشهد الرهيب ..

من المؤسف أننى لن أكون هنا الشهر القادم حين

يكتمل القمر .. لربما لو رأيت مشهد الساحرات هذا

لخطرت لى بعض الأفكار ، لكن القمر كان مكتملاً قبل

قدومى بثلاثة أو أربعة أيام .. سأكون وقتها فى

مصر ..

هنا لمحت ذلك الشبح يتحرك بين شواهد القبور ..

ما كل هذا الثبات ؟ كأنها تمثّل فيلمًا سينمائيًا

والمخرج قد طلب منها أن تبدو رهيبة ثابتة الجنان ..

كما أنها تعرف للتأثير المسيطر الغريب للشخص الذى

يضع يديه فى جيبي معطفه الأسود الطويل ، وينقل

كعبى حذاءيه طويلي الرقبة فى ثقة .. كل من رأى

نمط الجنرالات النازيين فى السينما يعرف ما أقصد ..

كانت هذه هى كاتبتنا الشابة الواعدة (لورين) ..

تمنيت ألا تراتى .. لسبب ما لا أطيق وجودها ..

لكنها رأتني .. وهكذا مشيت بنفس الثقة إلى حيث
كنت واقفاً أرتجف من البرد .. وقالت :

- « هالو .. أنت تجد ذلك السحر الشعري في
المقبرة مثلي ؟ »

- « ليس موضوع شاعرية .. فقط أحب زيارة
البيت الذي سأعيش فيه للأبد بعد قليل .. »

أخرجت علبة تبغ ، وجذبت منها لفافة غريبة
طويلة تشبه القلم الذهبى ، وأشعلتها فى أنفاة وقالت :

- « أحياناً تشعر بأنك أقوى من الموت ذاته .. أنك
كنت هنا يوماً ثم تحررت وعدت .. وأن الحياة تبدأ

من جديد ولا تنتهى .. أحياناً تشعر بأنك فى زمن آخر
فى مكان آخر كنت واحداً آخر .. لكن هل كنت تعرف

ذاتك وقتها ؟ هل كنت تعرف أنك هو أنت ؟ لو لم يكن
الأمر كذا فلاحقة له .. هل تفهمنى ؟ »

- « لا .. »

- « تبدو لى ذكياً لا يحتاج إلى كلمات كثيرة .. »

قلت وأنا أنظر إلى المقبرة التى لم يعد فيها
إلا درجات اللون الأزرق :

- « لو كنت تتحدثين عن تناسخ الأرواح فلنا لا لومن
به .. »

- « لا أتحدث عن تناسخ الأرواح .. بل أتحدث عن
عولتها إلى عالم المادة .. »

هزرت رأسى غير راض .. ساد الصمت برهة ثم
سألتنى وهى تنفث ذلك الدخان العطر :

- « تحبها ؟ »

- « من ؟ »

- « تلك الفتاة الأسكتلندية .. ممس (ماكيلوب) ..
لا أعتقد أنها تميل لك كثيراً .. أنتم الرجال تخلطون
بين المجاملة والمعاملة اللطيفة والحب .. »

- « يمكننى أن أكون فقط وأقول إن هذا ليس من
شأنك .. لكن لا .. سأريحك .. أحبها جداً .. ولا يهمنى

رأيها فى الأمر .. لن أتغير .. سأظل منتمياً لها .. »

كانت وقحة لكنى لسبب غير واضح لم أستطع أن
أخرسها كما يجب .. ربما أرتج على .. قلت لى فى مكر :

« كما تحب .. »

كانوا يقولون عن ممثلة الرعب العظيمة (باربرا
ستيل) ، إنها ترمز إلى المرأة (كآخر) .. المرأة
كعدو خارجى مخيف غامض .. هذه الفتاة جعلتنى
بالفعل أتذكر هذه الكلمات ..

وفى صمت مشينا معا عائدتين إلى الخان .. لكن
هذه المحادثة ظلت فى ذهنى طويلاً ..

فى مساء وجدوا جثة (كيليلرون) .. عجوز البدين ..
هذا الرجل تعذب كثيراً لأن كل أطرافه كتبت مهشمة ،
وقد التوى عنقه للخلف بتلك الطريقة الشهيرة فى
القرون الوسطى للذين قتلهم الشياطين .

إن للرجل يعيش وحيداً فى داره بعدما رحل أولاده
وماتت زوجته .. هناك كالعادة مدبرة بيت عجوز هى

مسز (سميث) - ككل مدبرات البيوت - وكانت قد
أخذت إجازة لهذا اليوم على أن تعود فى المساء ..

« فكرت فى زيارة أختى .. »

فلما عادت ، كان ما لفت نظرها أن المنزل مطلق
من الداخل جيداً .. فتحت الباب بالمفتاح ودخلت ،
ولما لم تر أثراً للحياة ، افترضت أن الرجل ذهب
ليقضى سهرته فى الخان ..

« ثم سمعت صوت المذياع مفتوحاً .. »

وبالطبع ذهبت لتعرف سبب ترك المذياع مفتوحاً ..
فوجدته فى قاعة الجلوس ..

كان راقداً على السجادة ، وخطر لها أنها نوبة
قلبية .. لكنها أدركت أن لتجاء وجهه لأعلى لا يعنى
أن بطنه فى نفس الاتجاه ! هنا أصيبت هى نفسها
بنوبة قلبية .. واحتاجت إلى بضع دقائق وقرص من
موسع الشرايين تحت لسانها حتى استطاعت
استخدام الهاتف وطلب الشرطة ..

وعندما جلست مع (ماجى) والطفلة فى قاعة الجلوس ، كان الخبر قد انتشر كالنار فى الهشيم ..

- « (كيليارون) ملت ! »

- « (كيليارون) ملت ! »

وصاحت مسر (باتكروفت) فى رعب :

- « ماذا حدث فى هذه البلدة ؟ فقدنا شخصين من خيرة أهلنا فى يوم واحد !! »

أخفيت وجهى فى مفرش المنضدة كى لا تقول شيئاً على غرار (الخير على قدوم الواردين) .. والحقيقة أننى أعرف نفسى جيداً بحيث صرت لا أغضب لتهمة من هذا النوع بل وأؤكد لها .. فعلاً الخير على قدوم الواردين فى حالتى على الأقل .. ما إن أظهر فى مكان حتى يتحول إلى جحيم .. وهى كما ترون موهبتى الوحيدة التى تؤهلنى لسرد هذه القصص ..

وجاء (بارنيل) ليجلس إلى مائدتنا ، وقال :

- « رجل آخر يعض للتراب .. كنا كل يوم نتوقع أن يحدث هذا .. مع كل الكولستيرول الذى يفعم شرايينه ، وكل ما يجثم على روحه من شحم ، لكننا توقعنا أن يمنحنا وقتاً .. عناية مركزة .. شلل .. فترة ما تجعل الرحيل تدريجياً ، لكن من المؤلم أن يرحل بهذه الطريقة .. تهشيم أطراف ولى عنق ؟ هذا رهيب ! »

قلت له همساً :

- « قل لى .. هل هناك من نتهمه بهذا ؟ »

نظر لى كأنما يراى لأول مرة ، وهتف :

- « سيكون هذا غريباً .. من يستطيع عمل هذا ؟ لا بد أنه كتلة من العضلات .. »

- « لنتكلم بصراحة أكثر .. ألا يوحى الأمر بشيء خارق للطبيعة ؟ »

هذا الإرهاق على وجهه وقال :

- « بلى . ربما . لكن هذه الأشياء لا تحدث على قارعة الطريق .. أنا بعد كل هذا للعمر لم أر ظاهرة خارقة فى حياتى .. »

- « أنت إنسان سعيد الحظ .. »

ومن جديد بدأت الأسئلة المعقدة والتحقيقات .. لن
أتحمل البقاء في هذه البلدة بعد القتل الثالث ما لم
يكن أنا بالذات .. وقد تصاعل كثيرون :

- « ما الذي يربط بين القس وهذا الرجل
(كيليارون) ؟ »

لم تكن هناك إجابة واضحة ..



6 - كشف الأوراق ..

أما عن وفاة السير (مليجان) فالأمر يحتاج إلى
وقفة ما ..

كنت قد انتهيت من التحقيقات الطويلة التي
لا تفضي إلى شيء ولتي يسكبها رجل الشرطة (بيرك)
على رأسي ورأس (ماجى) .. كلها أسئلة غبية كان
يرى رجال الشرطة يسألونها في الأفلام لو كان يرى
بعضها .. أين كنت عندما قتل (كيليارون) ؟ ومتى
قتل (كيليارون) يا سيدى ؟ ماذا ؟ لا أعرف .. ظننتك
أنت تعرف ..

وهكذا .. للكثير من هذا الهراء ، حتى إننى شعرت
بحاجة ماسة إلى استنشاق الهواء النقي ..

غادرت و (ماجى) للخان والطفلة تمسك بيدي ..
الحقيقة المخجلة هنا هي أننا صرنا صديقين .. الحقيقة

الأكثر إثارة للخجل أنني صرت مرتبطاً بها بشدة ..
إنها طفل مسالم لطيف أقرب إلى نمية جميلة ..

مشيت و (ماجى) فى الممر الذى يقود إلى الشارع
الرئيسى ، وكنا صليمتين .. لكننى كنت أملك لف تطيق على
ما يحدث .. لكن السؤال الأهم هو (لماذا الآن بالذات ؟)

قالت (ماجى) وهى تعقد ذراعيها على صدرها فى
أثناء المشى :

- « لا أعرف .. أنا لا أتق كثيراً بموضوع النحس
هذا .. لقد بدأ الشئ مع قدوم الغرباء .. أنا أعرفك
وأعرف نفسى وأعرف أننا لسنا من الطراز الذى
يلوى عنق الشيوخ للخلف .. هنا يبرز بقوة اسم
(لورين بلاك) هذه .. هذه الفتاة لا تريحنى على
الإطلاق .. ربما لا ترى رأى ذاته ، لكن حسنة
الأنثى لا تخطئ .. »

قلت فى ضيق :

- « أنا أرى الشئ ذاته .. هناك إشاعة مفرضة
تملاً البلدة أنها فاتنة .. حسن .. أنا لا أرى هذا .. »

- « لكنك لا تتكر أنها ساحرة ؟ »

- « ساحرة .. نعم .. بالمفهوم المجازى .. و ... »

ثم تلاقت عينتا .. لماذا فكرنا فى الشئ ذاته فى
نفس اللحظة ؟

كانت هناك سيارة واقفة إلى جانب الطريق فى هذا
الموضع المهجور نسبياً .. سيارة صغيرة بريطانية
جداً .. وليسبب ما لم تبد لنا وقفها مريحة هناك فى
الظلام الذى ملأ المكان ..

قالت لى وهى مستمرة فى المشى :

- « لو فرضنا جدلاً أنها هى .. هل تتوقع أنها
تجيد لى أعناق الناس ؟ »

قلت فى سرود :

- « القصة غير واضحة .. لا أستطيع أن أراها
قاتلة .. ولأى غرض ؟ »

هنا كنا قد وصلنا قرب السيارة ..

ألقيت نظرة عابرة إلى داخلها ، وفي اللحظة
التالية وجدت أننى على الأرض وألم حاد يمزق
خصري ...

وأمامنا وقف السير (ميليجان) ..

كان هو ولم يكن هو ..

إنه ينزف من عشرة مواضع على الأقل ، وقد
جعلته لحظة اقتراب الموت متوحشا .. لا أعرف كيف
استطاع فتح السيارة لكنه فعل وبقوة كاسحة .. ربما
عالج المقبض بقدمه .. لا أدرى بالضبط ..

وهنا فهمت .. قف الشعر على جانبي رأسى حين
فهمت ..

لقد كان مكتم الفم ، مقيد اليدين إلى ظهره ، ومن
كل أوربته العملاقة كانت هناك خراطيم تتلى .. خراطيم
تتصل ببلر كلما كان يتلقى الحقن الوريدية من خلالها ،
لكن هذه للخراطيم كانت تنزف .. ومن الجلى أنه نزف



ألقيت نظرة عابرة إلى داخلها وفي اللحظة التالية وجدت
أننى على الأرض . وألم حاد يمزق خصري

كثيراً جداً .. أنا أعرف أن من يقطعون شرايين معصمهم
يصابون بحالة جنون هياجى قرب النهاية ، وكان
السير (مليجان) قد دنا من النهاية ..

مشى جوارنا .. وهو يصدر خواراً كالثيران ..

ثم رأى (ماجى) فاتسعت عيناه وراح يترنح وهو
يركض نحوها .. الطفلة لا تكف عن العواء ..

صرخت (ماجى) وبدأت تجرى .. لكنى صرخت
فيها بدورى :

« لا تهربى منه ! ساعديه !! »

وهرعت لألحق بالبائس .. فقط ليوجه لى ركلة فى
أسفل بطنى جعلت الهواء يخرج من أنفى .. لم يرفضنى
حصان من قبل لكن لا بد أن الأمر أفضل من هذا ..

استندت إلى الجدار بينما صرخات الطفلة تجعل
الأمر أقرب إلى الجحيم .. اخرسى قليلاً بالله عليك !!

إن الدم .. يعود .. إلى .. رأسى .. من .. جديد ...

أنا .. قوى .. لتحمل .. برغم .. ضعف .. صحتى ...

لن .. أموت .. بقدم رجل قتيل أصلاً ..

فى هذه اللحظة سقط الرجل على الأرض بينما
الطفلة لا تكف عن إطلاق مبرينتها ...

وأبركت من ثبات وضعه أن الأمر قد انتهى ..

سألتنى (ماجى) باكية وهى تعصر الطفلة :

« هل أنت بخير ؟ »

« ساعيش .. والآن هلا عدنا إلى الخان ؟ لا بد ..

من ... غوث ... »

جاء للدكتور (ك. أوجليفى) بعد ربع ساعة .. وكان
الأمر قد انتهى .. كانوا قد أحضروا الجثة مغطاة

بالملاءات ، وساد صمت رهيب .. الموت بحضوره

المقبض .. من المجاملة أكثر من اللازم أن نقول إنه

ضيف ثقيل لا تجد راحتك فى حضوره .. بل

لا تستطيع الكلام بحرية ...

كان الطبيب أصلع لرأس قصير للقامة متأنقاً جداً ،

وقد راح يجفف العرق المتراكم على جبينه برغم
الطقس البارد ، وقال لنا :

- « أفهم من هذا أن دماء هذا الرجل استنزفت
حتى الموت ؟ »

قلت له في نفاذ صبر :

- « تشخيصك دقيق أيها الزميل .. »

- « ومن الذى يفعل شيئاً كهذا ؟ »

مططت شفتى السفلى فى غباء .. إنه الشيطان
ذاته لو كان يجيد تركيب الإبر الوريدية ..

هذه المرة بدا أن البلدة كلها احتشدت فى الخان ،
وهو ما كان ليسعد فؤاد مس (باتكروفت) لو لم تكن
فعلاً سيدة طيبة القلب لا تحب موت زبائنها ..

شعرت بالحضور إياه فنظرت وراء كتفى .. كانت
الكاتبة السوداء عائدة من الخارج مع الأخ (أونيل)
الذى لم يعد يفارقها فى الآونة الأخيرة ، ومعهما

سيدة أخرى فى الخمسين لم أرها من قبل .. لو كنا
فى مصر لقلت إنها أمه تتعرف عروسه المقبلة ..
كانت (لورين) تضع نظارة سوداء فلما شعرت بأن
هناك تجمعاً مريباً نزعت نظارتها ، وهزت رأسها ثم
ودعت الفتى واتجهت إلى غرفتها ..

كانت (ماجى) تنتظر إلى المشهد وكذا أنا .. فتحت
شفتيها ومطت عنقها نحوى فى إيماءة أعرفها جيداً ،
فملت عليها بأذنى لأسمع ، وقبل أن تتكلم قلت أنا :

- « نعم .. نعم .. المرأة التى مع (أونيل) .. »

- « تعرفها .. أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. لكنى عاجز عن تذكر متى وأين ... »

مع (ماجى) تخطر الفكرة فى ذهنى فتدرد هى
عليها من دون كلام .. بل إن بوسعى أن ألومها على
فكرة مخيفة لم تصرح بها .. توارد خواطر قاتل
نعرفه من أيام بعثتى القديمة هنا ..

قالت في خبث :

- « الصور ! هذه إحدى النساء اللاتي كن يرقصن في المقبرة ! »

- « هل .. تعتقدين هذا ؟ »

ونظرت للمرأة .. لست متأكدا لكني لم أر الصور بما يكفي .. لكن وجهها بالتأكيد مأثوف ، وفي الغالب انطبع في ذهني من وقتها .. ما معنى هذا ؟

سرى الإشعاع السايكوفيزيائي بين الجالسين ، وتقدم رجل متأني يدين معقد بنفسه إلى وسط الدائرة ، وقال في تودة :

- « يجب أن نتحدث بصراحة يارفاق .. هذا الذي يحدث في بلدتنا الهادئة لا يُصدّق .. ويوحى بلغة ما تتجاوز فهمنا .. هل هناك من يربط مثلي بين هذه الأحداث وقدم غرباء إلى البلدة ؟ »

تعالّت الهمهمة فصاح أمرا :

- « من ير هذا فيرفع يده .. »

ارتفعت عشرات الأيدي .. ما كنت أحسب أن كل واحد من هؤلاء القوم له ست أذرع إلا بعد ما رأيت هذا بنفسى ..

قالت (ماجى) فى تحد :

- « حسن .. ومن ير أننا قتلنا هؤلاء الثلاثة فليقل هذا صراحة .. »

لم يتكلم أحد .. فقالت فى هدوء :

- « أنا ومرافقى سنرحل غدا صباحا .. لو كنا نجلب للشيطان معنا فنحن سنريحكم .. »

هنا هتف رجل الشرطة (بيرك) فى رعب :

- « هذا لن يكون .. لن يفارق أحد البلدة قبل قدوم رجال التحريات الجنائية .. سأطلق الرصاص على أول من يفكر فى الخروج .. »

على الأقل هو يتصرف بشكل صحيح من حين لآخر ، لكن هانحن أولاء قد صرنا محاصرين ..

هنا هتف رجل من الجالسين :

- « لحظة .. من يشعر بارتياح في تلك الفتاة من
(شيفيلد) فليرفع ذراعه .. »

هذه المرة ارتفعت مائة ذراع .. هؤلاء ليسوا
بشرًا .. إنهم تشيرة من الأخطبوط ..

- « هي لا تكتب شيئًا وتكاد لا تمضي وقتًا في
حجرتها .. إنها تجوب البلدة طيلة اليوم .. كلنا رأها
في المقابر .. ماذا تفعل هناك ؟ من هي حقًا ؟ »

هنا قرر الفتى (أونيل) أن يقوم بواجبه ، فذهب
بمسك بقاتل هذا من ياقة سترته ، وكور قبضته
العملاقة وشدها إلى الوراء في وضع مألوف .. إنه
بالفعل يتصرف كأنه زميل (جاري كوبر) :

- « من يقل حرفًا واحدًا يسىء لها سأهشم وجهه ! »
قال الرجل الأول المعتد بنفسه :

- « الحقيقة يا بني أنك صرت في قبضتها .. إنك
مفتون بها .. »

- « بل أنتم مرضى النفوس .. الحقيقة أنها بهرتكم
جميعًا .. وحين لا ينال الرجل فرصته فإنه يختلق
الأكاذيب ويتحول إعجابه إلى حقد .. (لورين) اختارت
رجلاً واحدًا في هذه البلدة المتعصبة وأنتم لا تطبقون
هذه الفكرة .. »

كلامه صحيح حتى إن كان لا ينطبق على هذه
الحالة .. إن كل من قرأ أو شاهد رواية (زوربا
اليونانية) للعظيم (كازندزakis) يذكر جيدًا مشهد
سَل الأرملة الجميلة على يد رجال القرية بدعوى
الحفاظ على الأخلاق .. والحقيقة أنهم قتلوها لأنها لم
تختَر واحدًا منهم ..

المهم أن الموقف تحول إلى نار متأججة وكادت
الكلمات تتطاير ، لولا أن الرجل المعتد بنفسه وقف
وصاح :

- « يا رجال .. أنا أقترح أن نحبس الغرباء في
غرفهم إلى أن يأتي رجال التحريات .. لا نريد مشاكل

سألني رجل الشرطة في دهشة :

- « ماذا تقول بالضبط ؟ »

- « اعتقد أن كثيرين منكم خمنوا ما أعنيه .. كل هؤلاء الذين ماتوا كانت لهم علاقة ما بموت (رونيل السوداء) .. أنتم تعرفون القصة وتذكرون التفاصيل .. لا أعرف كل من تورط في هذه القصة ، لكن المرشح رقم واحد للموت الآن هو (باتريك بارنيل) . حفيد قاضي الساحرات الرهيب ! »



جديدة .. أنا اعتذر لهم بشدة على هذا لكنهم يفهمون دوافعنا .. »

صاحت (ماجى) في عصبية :

- « يحبسوتنا ؟ بأى حق ؟! »

لكننى ضغطت على معصمها وهمست :

- « لا مشكلة في إجراء كهذا .. إنها ليلة واحدة بعدها نترك هذه البلدة بمشاكلها .. لا داعى لتصلب الرأي .. »

وهكذا بدأ الحشد يتفرق من حولنا ليفتح لنا الطريق ..

هنا توقفت وقلت بصوت عال :

- « بالمناسبة .. أين مستر (بارنيل) ؟ (باتريك

بارنيل) ؟ »

لم يكن هنا .. ونظر لى القوم في دهشة ، فقلت بنفس الصوت العالى :

- « اقترح أن تحرسوه جيدا .. لو حدث له شيء

فنحن أبرياء من دمه ! »

7 - أسطورة المقبرة ..

لم يكن البقاء في غرفتي سينا .. أنتم تعرفون أنني حريص على كل نشاط بشري يحرمنى مخالطة البشر ! لكن (ماجى) .. الشعور من جديد بأنها ستنفد .. لو عرفت تلك الطفلة (إلياتور) كم هي مجودة الحظ ..

قضيت الوقت أصغى للمذياع ، وأكتب بعض الملاحظات عن المؤتمر الأخير الذى حضرته ..

فتحت الستائر لأرمى الظلام فى الخارج .. هل هذا غراب الذى يقف على تلك الشجرة البعيدة ؟ هو كذلك ، ولا أنفى لحظة أنه يبدو لى كمن يراقب نافذتى .. أنا عصبى وقد اعتدت هذه الأمور .. أنا هستيرى مجنون ولن أترك ملحوظة كهذه تدمر أعصابى ..

ثم تسرب النوم إلى جفونى لا أدرى كيف ، فدخلت الفراش المريح الدافئ .. الذى يحتضنك احتضاناً .. وكان للدفع الكلمة الأخيرة قبل الإرهاق ...
إننى ...

فى الثالثة صباحاً سمعت القرعات على بابى ، فنهضت .. تعثرت فى القطاء السميكة طبعاً وأطلقت الكثير من السباب إلى أن وجدت الباب .. وفى اللحظة ذاتها كان المفتاح يدور فيه من الخارج ، فلاتس أننى حبيس هنا ..

هناك كان رجل الشرطة الأحمرق (بيرك) ومعه ممز (باتكروفت) التى بالفعل صارت عيناها خارج جمجمتها .. وعرفت على الفور أن كارثة حدثت ..

- « كارثة حدثت يا سيدى .. »

- « إننى أرتجف قلقاً .. »

ثم سمحت لهما بالدخول وبحثت عن الروب .. ثم
جلست على طرف الفراش وتساءلت كفرس النهر ..
بينما قال الشرطى عديم الكفاءة :

« لقد توفي السيد (باتريك بارنيل) .. لقد كنت
محققاً يا سيدى .. »

أدريت الخبر فى فمى لأذوقه جيداً .. هذا الرجل
لطيف المعشر الذى راح يكلمنا كأننا صديقان قديمان
له ، والذى عرفت منه كل تفاصيل هذه القصة قد
مات ..

« كيف ؟ »

صمت الرجل وشهقت المرأة .. مما جعلنى أعرف
أنه مات بطريقة لا يمكن سردها .. أشياء كهذه
لا تقال للأطفال مثلى ..

ثم إن الشرطى قال وهو ينهض :

« أعتقد أنه لم يعد من داع لهذا السجن .. يمكنك
الخروج إذا أردت يا سيدى .. »

فى هذه اللحظة ظهر رتل من الرجال الذين لا أعرفهم
على الباب .. لكنهم كانوا غاضبين كالجحيم .. كانوا
يريدون تدمير أى شىء أو قتل أى واحد .. يبدو أن
المنظر لار حفيظتهم بحق .. وهنا رأيت من جديد الدليل
القاطع على ما يروونه عن حدة طباع الأيرلنديين ..
أنا جربتها وكدت ألقى حتفى لو كنتم تذكرون قصة
للهب الأزرق والأخ (شكال) ..

فيما بعد عرفت تفاصيل موت الرجل - (بارنيل)
لا (شكال) طبعا - ولن أحكيها بالتأكيد .. لكنها كانت
جديرة بصلح أعظم جرم بالنسبة لـ (رونيل السوداء) ..
إن حفيده تلقى العقاب كاملاً غير منقوص .. ويكفى
القول إن الطبيب فقد وعيه حين رأى المشهد ، وأن
الرجل ذا الكلمة المسموعة إياه فى حالة هستيرية
الآن ..

قلت ولنا أقف أمام الباب :

« من (بلاك) ؟ »

- « ليست هنا .. إنها لم تعد في الخان قط منذ
اتفقنا على تحديد إقامتكم .. نعتقد أنها غادرت غرفتها
من النافذة .. »

وقالت مسز (باتكروفت) :

- « لا أكتسك سرًا أننا فتشنا أوراقها .. لم نجد
قصصًا على الإطلاق .. كانت هناك صفحات ملأى
برموز غريبة كالتي تستعمل في السحر .. منلت
العبارات اللاتينية التي تجمد الدم في العروق .. تلك
الفتاة ليست طبيعية .. »

فكرت في المعلومة بعض الوقت ، ثم قلت للرجل :

- « هل معك قلم ؟ »

ناولني قلمًا من الرصاص في تردد ، فأمسكت به
وبخط كبير واضح كتبت على الجدار : LOREANE ..

صاحت مسز (باتكروفت) في غضب :

- « بحق السماء .. ماذا تحسب أنك فاعل ؟ »

لم أرد ، وهتفت في القوم :

- « كيف تتهجون اسم تلك الساحرة التي حرقها
أجدادكم ؟ RONAELE ؟ »

هنا صاح أحد الإنكباء :

- « حقًا .. نفس الأحرف .. ونفس الرنين في الآن ..
وكلاهما سوداء .. (بلاك) .. »

هنا بللت طرف منديلي بلعابي ، ورحت أزيل الدمار
الذي أحدثته في جدار الخان كي لا تقتلني صاحبتة ..
نظرت لي مسز (باتكروفت) في حدة ، وسألت :

- « هل تحاول التلميح إلى أن الساحرة عادت اليوم
لنا في ثوب تلك الفتاة من (شيفلد) وأنها تنفذ
انتقامها ؟ كيف ؟ هل غادرت قبرها ؟ هل حلت روحها
بتلك الفتاة ؟ كلها افتراضات لا تقبل .. »

وقال واحد من الواقفين :

- « ولماذا اليوم بالذات ؟ لماذا تنتظر ثلاثمائة عام ؟ »

- « يمكنك أن تسألها .. »

ثم أردفت وأنا أشعر بإرهاق شديد من فرط هذا
الجهد العصبى :

- « الفتاة تكمل بالضبط ما كانت (رونيل) تفعل ..
الشخص الوحيد الذى وثقت به هو الفتى (أونيل)
ولا أشك فى أنه حفيد (أونيل) القديم الذى كاد يلقى
بنفسه فى النيران من أجلها .. ثم يموت حفيد القس
الذى شك فيها .. وحفيد الحاكم .. وحفيد القاضى
الذى أمر بحرقها .. وحفيد الثرى الذى كان يحبها ،
والذى ربما كان له دور فى إزالتها .. لا أعرف كل
من تورط فى هذه القصة ، لكن (رونيل) عانت ..
لنا متأكد من هذا .. وانتقامها شامل ملحق .. والمشكلة
هنا أن من ماتوا حتى الآن هم الورثة الوحيدون
لأسرهم ، فماذا عن الأسر التى تفرعت وتشعب
أحفادها ؟ »

ساد الصمت ثم تصاعل أحد الرجال :

- « والحل ؟ »

- « لرى أنه لابد من نبش قبرها .. أعتقد أن الجواب
للسحيح يكمن فى المقبرة .. »

كان الرجال بحاجة إلى أى شىء يبدد طاقاتهم الثائرة ،
لهذا تصالحوا فى حملة كئيبا لدعوهم إلى السبرك :

- « المقبرة .. نعم .. المقبرة !! »

- « فى الصباح يمكننا أن ... »

لكنهم لم يكونوا على استعداد للانتظار حتى الصباح ..
مشكلة الأيرلنديين الغاضبين هى أنهم لا يسمحون
لكهل مثلى بالنوم ..

وسط الزحام رأيت (ماجى) تشقى طريقها
بوجه ممتقع ، وقد حملت الطفلة متمسكة بعنقها ..
بدا لى المشهد غريباً لكنى لم أر طفلة تحمل
طفلة قط .. ثم إن (إليانور) لم تكن رضية
بالتأكيد ..

قالت لى همسًا :

« أنت قلت نفس ما أفكر فيه .. لكن ما كان يجب
أن تقوله علانية .. »
- « ولم لا ؟ »

« رد الفعل الجماهيري غير المنضبط .. أنت
كمن يفتح قمقمًا فيه جنى حبس .. لو أنهم قابلوا
الفتاة الآن ، حتى لو كانت بريئة لأطاروا عنقها
بلا مناقشة .. السبب الأهم هو أنني متأكدة من أن عددًا
من هؤلاء القوم يعرف ما تتكلم عنه .. ربما كان
يرقص حول المقبرة في تلك الليلة .. أكره البارثويا
لكن الحذر واجب .. »

اعترفت في خجل بأنها محقة لكن العجلة دارت ..
من العسير ابتلاع الكلمات ..

وفي هياج - كنتين أسطوري هائل عقله في قدميه -
تحرك الجمع نحو المقابر ..

قلت لها :

« أغلقى بابك بإحكام وكونى حذرة .. ربما كان
من الحكمة أن تنزلى لتقضى الوقت مع مسز
(باتكروفت) .. »

في ضوء المشاعل يبدو المكان بهيجًا ..
عشرات الناس والمشاعل التي تشبه (الكلوبات)
في سوق الخضار عندنا ، وكشافات نيون وكشافات
علوية تعمل بالأحجار الجافة .. غبار .. عرق .. زحام ..
لقد خضت هذا الموقف مرارًا من قبل ومن بعد ،
بحيث يبدو لى الآن أنني قضيت عشرة أعوام من
عمرى وسط أناس يتبشون قبرًا ما ..

كنا جميعًا نتجه إلى المكان الذي لن أنساه
ما حييت ..

لقبر الوحيد الباقي والذي لا يحمل شاهدة أى اسم ..

ربما كانت هناك قبور أخرى لكن لا أحد يذكر
مكاتها ..

أين حارس المقابر ؟ كان هناك وسبط الزحام وقد
تحول إلى فزاعة من فعل الكحول .. يصعب على أن
أصدق أن هذا الرجل لم يذق الخمر من قبل ..

وقفنا هناك .. وكانت الأعشاب تغطي الشاهد ، فيما
عدا ما قمت بإزاحته حين كنت مع (ماجى) .. وبدأت
المعاول والأظفار تعمل ..

بدأ التراب يتراكم .. وعرفت أنها مدفونة من دون
تابوت ولا كفن على سبيل الانتقام ..
أخيراً بدأت معالم الحفرة تتضح ..

وتكأ القوم حول الحفرة كل يحاول أن يجد موطن
عين .. وشعرت بأننى أختنق .. الكل يدفعنى إلى
الحفرة ، وتساعلت فى سرى : ألا يستحم هؤلاء القوم ؟

عظام .. عظام بالية نخرة مفتتة ..

تلوت : « كل نفس ذائقة الموت » ، ثم جثوت على
ركبتى أتفحصها ، ورفعت عيني فوجدت الدكتور
(أوجليفى) جاثياً جوارى يتفحص العظام بدوره فى
ضوء كشاف ..

- « ما رأيك أيها الزميل ؟ أى !! »

قالها وهو يتلقى كوعاً فى كتفه .. فقلت بينما
ركبة صلبة تضربنى فى مؤخرة رأسى :

- « مثل رأيك .. أى !! هذه العظام محترقة وتتمشى
مع القصة .. لا أعرف عمرها لكن لا أستبعد أنها
دفنت هنا منذ ثلاثمائة سنة .. »

هكذا أعلن على الناس أن الجثة فى مكاتها ..
الساحرة لم تغادر القبر لتلتهم حناجركم يا شباب
فاطمئنا !!

كنت أنا شارد الذهن أفكر .. ما معنى تلك الزيارات
الليلية إلى هذا الموضع إذن ؟ طبعاً أنا لم أتوقع

لحظة أن تنهض الجثة من قبرها لأن هذا مستحيل ..
فمن هي (لورين) إذن ؟ لا أقبل كذلك قصة التناسخ .
ما خطر لي هو أن هناك من سرق الرفات من أجل عمل
سحري ما .. لكن من الواضح أن هذا لم يحدث ..

هنا توقف الطبيب الأيرلندي الأصم وقال :

- « هذه العظمة .. آي ! ما رأيك فيها ؟ »

نظرت إلى العظمة وفهمت ما يعنيه ..

سألته :

- « في أي سن هلكت (رونيل السوداء) ؟ »

- « كانت قد تجاوزت العشرين .. »

وكانت العظمة التي يحملها لا تحتل الشك .. هذه
عظمة طفل .. الخط الكردوسي واضح تمامًا وحجم
العظمة نفسه واضح لكل طفل ..

هذه الرفات ليست رفات (رونيل السوداء) ...

* * *

8- المؤامرة ..

على ضوء الفجر البكر حيث وضعنا العظام على
ملاءة ، أمكنني الآن التأكد من أنني كنت مخطئًا في
البداية .. فعلاً هذه عظام طفل ..

صاح أحد الرجال في عصبية :

- « من فضلكم لا تقولوا إنها فتحت القبر وذهبت .. »

قلت في هدوء لأمتص غضبه :

- « لا شيء من هذا .. هناك من أخذ العظام لغرض ما ..
ربما ليدفنها في قبر أفضل أو من أجل طقوس
لا نعرفها .. »

ثم تنهدت ونظرت إلى الساعة .. إنها الساعة
صباحًا .. لقد استغرقت كل هذه الأحداث أربع
ساعات .. ولنا جئع ومو شك على التجمد .. قلت لهم إن
لوقت حان للعودة إلى الخان وترتيب الخطوات التالية ..

ومشى الموكب عائداً فى ضوء النهار الخجول
الذى لا يجرو على أن يفصح أنه نهار ...

من بعيد كان الخان ، وقدرت أننى سأغسل وجهى
وأصلى وأتناول الإفطار ، ثم أنام عشر سنوات فى
الفراش الدافئ حتى توقظنى الساحرة لتخبرنى بأن
الدور لورى ..

لكن الجو لم يكن مريحاً .. فى البداية وجدنا أن
مسز (باتكروفت) ليست هناك .. ثم صعدت إلى
الطابق الذى أقيم فيه ، فوجدت أن باب غرفة الفتاة
مفتوح عنوة ..

هناك من افتحمة .. كنت وحدى الآن فلم أستطع
طلب عون ، لكن القصة واضحة .. لقد عادت أو عاد
كى بأخذ الأوراق التى هى بالتأكيد مهمة جداً ، وكان
غضبها مستطيراً حين وجدت أنه لا شىء منها فى
الغرفة ..

و ... (ماجى) !!

هرعت إلى غرفتها وكانت المصيبة التى توقعتها .
إن الباب مفتوح ..

افتحمت الغرفة لأجدها نائمة على الفراش بكامل
ثيابها .. ليست هذه نومة استرخاء أو نومة من
قضى الليل ساهراً .. سقط قلبى فى قدمى ودنوت
منها فى حذر .. بسبب ارتياكى فشلت فعلاً فى أن
أرى إن كان صدرها يعطو ويهبط أم هو ثابت كالبحر ..
لكنها كانت تتنفس ..

بالحقيقة تتنفس ..

جوار الفراش جنوت وأنا أغلب بموعى .. حمداً لله ..
للمرة الأولى أفطن إلى أن (ماجى) كائن حي يعيش
ويموت وليست رمزاً .. كنت لأحسبها كالعدل أو الحقيقة ..
هل رأيت يوماً جثة عدل أو أشلاء حقيقة ؟

فى النهاية فتحت عينيها وكانتنا حراوين كالدم ..

لاداعى للمزيد من البحث .. هاتان عينا إنسان
يفيق من مخدر ..

بالمناسبة أنا لا أرى الطفلة من حولها ..

هتفت من بين شفتين التصقتا من القشور :

- « إيتووووووور »

كما توقعت بالضبط ..

جلبت بعض الماء وسقيتها إياه .. ثم مكبت الباقي
على وجهها .. وماء أيرلندا بارد .. بارد ..

أخيراً جلست في الفراش وراحت ترمش بعينيها
في بلامه ، ثم سألتني من جديد :

- « أين (إيتور) ؟ »

- « حسبك أقدر مني على الإجابة عن هذا
السؤال .. »

نهضت من الفراش في حزم صائحة :

- « خطفوها ! »

القصة كما حكتها لي هي أن المسز (باتكروفت)
جاعت في الخامسة صباحاً تفرع لطلب .. قالت لها إنها

راغبة في إخبارها بشيء مهم .. وهكذا لم يكن هناك
من مبرر لإبقاء الباب موصداً .. فتحتة فدخلت المرأة
ذات الشعر المعقوص .. قالت لها كلاماً كثيراً عن
خوفها من أن تكون هي الضحية التالية .. ربما لأن
جدة جدتها كانت في تلك القصة المشنومة ..

طمأنتها (ماجي) .. وكانت الطفلة نائمة في
الفراش فلم تسمع شيئاً من المحادثة .. إلا أن
(ماجي) نهضت إلى الحمام كي ...
وهذا آخر ما تذكره من القصة ..

حدث أي شيء .. على الأرجح منديل مبلل
بالكلوروفورم على الأنف أو شيء من هذا القبيل ..
بعدها وجدت نفسها في الفراش ولما لوقفها كلكابوس ..
- « هذا يعني أن مسز (باتكروفت) متواطئة ..
كنت أعرف أنها تبدو كساحرة .. »

- « أنت قلت لي أن لقي بها وأمضى الوقت معها .. »

- « أنا قلت هذا ؟ إذن كنت حماراً .. ما علينا .. »

قالت وهي مازالت متحيرة الصوت ، ويبدو أن
رأسها مازال غير ثابت :

- « ربما لم يكن لها دور .. ربما هوجمنا معاً .. »

- « وهذا يجعلنا نسماعل أين هي ؟ وأين
الطفلة ؟ »

كنت أتمنى أن أقول إن هذا خبر طيب لى ، لكنى
لست بهذه القسوة طبعاً .. لقد اختطفنا الطفلة وبيد
أشخاص لم يبد حتى هذه اللحظة أن فى قلوبهم أدنى
ذرة من الرحمة .. إن من برجثة (بارنيل) يعرف
جيداً معنى ما أقول ..

قالت فى توتر وهي تتجه إلى الباب :

- « سأعرف حالاً .. أقسم لك إننى لن أغادر هذه
البلدة إلا وهي معى .. وأنت .. »

ثم نظرت فى عيني وهمست كأنما تذكرت شيئاً :

- « للأبد ؟ »

كانت تقولها من دون هيام ، بل فى توتر .. كأنما
تستوثق من أننى لم أغير بعد ، أو تطمئن على أن
أسلحتها محشوة .. قلت لها :

- « ماذا ؟ »

- « ستكون ملكى للأبد ؟ »

- « وحتى تحترق النجوم كلها .. وحتى ... »

ثم توقفت .. هذه المرة لأن رجل الشرطة الأحمق
اشتم الغرفة .. وهتف إذ رآنى :

- « أين ممز (باتكروفت) ؟ »

- « هذا ما كنا نتكلم فيه حين دخلت دون استئذان .. »

وبسرعة حكيت له القصة فازداد شاربها كثافة
وتقلص وجهه كأنما يموت .. ثم ابتلع ريقه وقال :

- « هناك امرأة ماتت فى البلدة هذا الصباح ..
لا .. ليست ممز (باتكروفت) .. ماتت بنفس الطريقة
الشيعة .. هذه المرة طار عنقها من على كتفها ،
لكننا لانعرف شيئاً عن علاقتها بالقصة .. »

قلت في ملل :

- « لا بد أنها من أخير القس .. كي يخبر
(كيليارون) بأن ... إلى آخر هذا الهراء .. »
أضاف بنفس اللهجة الخطرة :

- « الفتى (أونيل) كذلك اختلى .. »

- « المختلفون أكثر من اللازم في هذه البلدة .. هل
تعنى أنهم غادروها ؟ »

- « بل على الأرجح هم مختلفون في مكان ما ..
إن (أوليفر كليباتريك) لم ير أحداً يخرج من البلدة
منذ أمس .. إن (أوليفر كليباتريك) هو ... »

- « نعم .. نعم .. هو رجل يمكنه أن يعرف من
غادر البلدة .. وفر شرح ما لا طائل وراءه .. وهل
في بلدتكم مخابى ؟ »

فكر قليلاً وهو يعتصر شفته السفلى كأنما ليمزقها ،
ثم قال :

.. « هناك الكنيسة بدهاليزها للخفية .. هناك القلعة ..
هناك كهفان .. »

ضربت (ماجى) بكفها على صدغها كأنما تلطم
وهتفت :

- « يا إله السماوات ! يمكن إخفاء كتيبة من الجيش
الروماني في تلك الأماكن .. نحن لن نجد هؤلاء أبداً .. »
قلت لها في ثبات نافثاً صدرى :

- « لكننا سنبعث فيها جميعاً .. فقط أريد دقائق
كي أدخل غرفتي وأستعيد كياتي .. لسوف يكون يوماً
طويلاً .. »

قلت لها بلهجة أبطال الروايات شديدي المراس ،
وبخلت إلى حجرتي ، ثم نمت .. نمت وأنا أستاذ إلى
حوض غسل الوجه .. ثم نمت حين خرجت .. ثم
نمت وأنا أقول لنفسى إتني لن أنام ...

ظهرت بعد ساعة ونصف متظاهراً بالانتعاش ..
وكان الجميع جالسين في قاعة الجلوس ، وقد جلست
(ماجى) جوار رجل فى الخمسين من عمره ممن
يعرفون ما يفعلونه ، وقد فردوا على المنضدة خارطة
مرسومة بالقلم الأسود العريض للبلدة .. ورأيت
ينظر إلى مجموعة من الرجال الأشداء يرتدون
سترات ثقيلة ويحملون العصي :

- « (رايان) و(لوليفر) .. الكنيسة .. القبو (ج) .. »

واتطلق الرجال .. هنا فهمت أنهم يشكلون فرقاً
للبحث .. إنهم أشداء فعلاً وأحمد الله على أننى لست
تلك الفتاة (لورين بلاك) ..

وجدت مقعداً جوار المنضدة فجلست ، وكانت هناك
قهوة مددت يدي لها دون أن أسأل من شرب منها ..
نظرت (ماجى) لعينى الحمراءوين ففهمت على الفور
للنشاط الذى كنت أمارسه ، وابتسمت فى رفق ابتسامة
عصبية سريعة .. تذهلنى قوة تحمل النساء أحياناً ..

إنهن لا يملكن قوة جسدية لكنهن يتحملن الأوضاع
الصعبة أكثر منا نحن الرجال بمراحل ، وعلى قدر
علمى هى لم تتم أئس إلا قدر ما نمت أنا : لا شىء
تقريباً ..

قال لى الرجل الذى يعرف ما يجب عمله :

- « نكتور .. هلا اتحينا جانباً ؟ أريد كلمة معك .. »

نظرت له فى عدم فهم ، ثم نهضت واتجهنا إلى
ردهة جانبية تقود إلى السلم .. كان كما قلت فى
الخمسين ، ضخمة الجثة مما يوحى بأنه رياضى قديم ..
ذلك الترهل القوى الذى يميز من كانوا يمارسون
رياضة عنيفة ثم توقفوا ، وكأنه حلق الوجه بعناية
وله عينان ثاقبتان ..

أشعل لغافة تبغ غليظة ، وقال لى :

- « لقد سمعت القصة من الآسمة .. هناك كما فهمت

جماعة مربية تحاول إعادة (رونيل السوداء) إلى
البلدة .. إن الآسمة لم تحك قصتها مع المقبرة إلا الآن .. »

- « هل تعتقد أن الجماعة مازالت تحاول ؟ أعتقد أنها نجحت .. وإلا فمن هي (لورين) ؟ وما سر حالات الوفاة هذه ؟ »

- « لن نعرف أبدًا .. ربما كان الانتقام مطلوبًا كي تستطيع الساحرة العودة .. »

- « هذا يضعنا في مأزق آخر .. كيف عادت ؟ هل غادرت قبرها ؟ هل مست تلك الفتاة (لورين) ؟ »

قال من جديد :

- « لن نعرف أبدًا .. لكن هناك شيئًا مؤكدًا يجب أن نعرفه ولا تخبر به الآتية .. لأنها لو عرفت لفقدت صوابها .. الطفلة في خطر داهم .. ولربما انتهى هذا كله »

- « لماذا ؟ »

- « لأن (رونيل السوداء) كانت تلتهم الأطفال .. ألم يخبرك أحد بهذا ؟ »

وتصلبت .. واستندت إلى الجدار ..

كانت المرة الأولى التي أسمع فيها هذا الجزء ..

هذا جزء لم يخطر لي ببال قط ..



9- أين هم ..

كان الفريق الذى ضمنى الرجل إليه مكلفاً بتفقد كهف عتيق على حدود البلدة ..

وقررت فى هذه المرة أن آخذ (ماجى) معى فى كل خطوة .. لن أمارس من جديد سيناريو (لقد - نسينا - الآخرين - واتشغلنا - بؤهم) ..

عند الظهيرة وصلنا هناك .. ظهيرة (أيرلندا) الباردة الشبيهة بالغروب عندنا .. وكان الكهف يقع فيما بعد جغرافياً جزءاً من مرتفعات (إريجال) .. يرتفع عن الأرض حوالى سبعة أمتار ، وهو ما يجعله من الكهوف المربعة بالنسبة لى .. كتواقد وضعوا حبالاً تطلق منخله كى لا يدخله الأطفال ، وبدأ لنا أن هذه الحبال لم تمس ..

فى الداخل على ضوء الكشافات كان المشهد مروغاً .. الرائحة عطنة أقرب إلى الماء الأسن .. وكان الماء بالفعل يتساقط من هوابط السقف ..

هناك وطاويط انتظرت لحظة ثم هرعت تفر من المكان وقد تضايقت من هذا الإزعاج ..

شعرت بيد (ماجى) النحيلة تضغط على يدى .. فضغطت أكثر ، وإن كنت أعرف جيداً أنه لا يوجد شيء مقلق هنا .. ليس الأمر بهذه السهولة .. ولو قابلنا السحرة فلن يكون هذا وسط كل هؤلاء الرجال الأشداء .. حين تقابل السحرة سيكون هذا بشروطهم فى أسوأ ظروف ممكنة .. وأنت وحدك تماماً أعزل كطفل رضيع ..

يجب أن أقول هنا إن (ماجى) - وهذا من حقها - تغيرت تماماً .. لم تعد تملك أى روح دعابة .. صارت عصبية متوترة مكتئبة كالبومة .. إنها تحب الطفلة حقاً ..

رحنا نفتش فى الكهف الذى كان عميقاً .. لكن لم يكن هناك شيء .. وضايقتى أنهم يضيعون وقتاً أكثر من اللازم فى إثبات حقيقة واضحة من اللحظة الأولى ..

فى النهاية قال قائدنا لاهثا :

- « لا احتمالات للخطأ .. هؤلاء للقوم ليسوا هنا .. »

- « أخيراً ! »

وقالت (ماجى) وهى تحكم إغلاق سترتها على رأسها :

- « لنعد إلى الخان .. ففعل الآخرين ظفروا بحظ أفضل .. »

يمكن دون جهد كبير أن تصف اجتماعنا فى الخان مرهقين ، تجمدت عروقنا ، برداً ، بأنه (مجمع الخائبين) .. وكان الخان قد تحول إلى غرفة عمليات بالفعل ، والنسوة رحن يعددن القهوة الساخنة للرجال العائدين الذين لم يجدوا شيئاً .. كما شمعت راحة تدل على أن هناك حساء يتم إعداده .. لو أن المميز (باتكروفت) مازالت حية فلا بد أنها كانت ستموت لو رأت ما حل بالخان الأنيق الجميل ..

لقد بدا الأمر كأن عشيرة من ثيران المسك اتخذت سكناها هنا .. الأحذية على المناضد والدخان فى الهواء .. رماد التبغ على التبعاط والطب الفارغة فى كل مكان .. هناك من يبصقون على الأرض لكنهم قلة لحسن الحظ ..

لكننى كنت سعيداً .. برغم كل شيء كنت سعيداً ..

لما وأنت هنا .. فى هذا الموضع الدافئ بينما العاصفة ترار بالخارج .. لما وأنت هنا نواجه نفس الخطر ونفكر فى الأشياء ذاتها .. ما يهددك يهددنى وما يطمئنك يطمئننى .. فلتزار العاصفة .. فلتزار العاصفة ..

إن الليل يقترب بسرعة دون نتائج ..

لم نجد أثراً للطفلة ولا الفتى (أونيل) ولا العجوز (باتكروفت) ولا الفتاة (لورين) ..

قال الرجل الذى يعرف ما يجب عمله :

- « لماذا لم يصل رجال البحث الجنائى هؤلاء ؟
إنهم أقدر على حل كل هذه الألغاز .. »

ثم نظر حوله وهتف :

- « هل الجميع هنا ؟؟؟ لا نريد أن نترك خلفنا
أحدًا .. »

تقريبًا كانت البلدة كلها هنا .. لا تنس أن هذه البلدان
قد يكون تعداد سكانها مائتين أو ثلاثمائة .. لسنا في
مصر هنا حيث يبلغ تعداد مدينة واحدة دولة أوروبية
بأكملها .. لكن بالتأكيد هناك مواطن واحد قد نسيناه ،
وهذا الواحد ميت الآن بطريقة بشعة ..

ساد الصمت ورحنا نصغي لصوت الريح بالخارج
والنار في المدفأة التي أشعلتها النسوة .. وجاءت
فتاة شقراء متجهمة الوجه كبيرة اليدين تحمل دلوًا
فيه مغرفة .. وصبت لي بعض الحساء الساخن في
طبق ووضعته أمامي ، ثم تركتني لتفعل الشيء ذاته
مع (ماجى) .. ذكرنى مظهرها بساعة توزيع (اليمك)
في السجن .. نفس الدلو وأقسم على هذا .. صرنا
كأننا في معسكرات الإيواء بعد الكوارث .. أما عن

الحساء نفسه فقد اعتدت حساء اليوراتيوم في كل
أوروبا فلم يعد يشير اشمئزازى .. لكن ماذا عن
حساء الأحذية ؟

راحت (ماجى) ترشف الحساء شاردة الذهن ..

فجأة هتفت وقد تذكرت شيئًا :

- « لحظة .. هناك كهف في المقابر .. قريبها لا أرى ..
الكهف الذى وجئوا فيه حلجيت تلك الفتاة (لورين السوداء)
كما حكى لنا السيد (برنيل) .. هل رأيت هذا الكهف ؟ »

قال الرجل الذى يعرف ما ينبغى عمله :

- « لا أحد يذكر مكان هذا الكهف .. على قدر علمي
قد قلتر منذ زمن .. »

- « وعلى قدر علمي الكهوف لا تتدثر بل تتوارى
فتحاتها .. البلدة لم تشهد زلزل قط .. »

تبادل رجلان النظرات ، ثم قال أحدهما وهو يضع
طبق الحساء جانبًا :

- « ربما يعرف (إدوود) شيئًا عن هذا ؟ »

قال الرجل الذى يعرف ما يجب عمله :

- « ليكن .. (أونولان) و (رايان) و (أوليفر) ..
إذهبوا لتروا (إدوود) لو كان مازال حيًا .. خذ معك
ما يلزم يا (رايان) .. »

هنا وضعت حسائى بدورى .. وأشرت لـ (ماجى)
أن تنهض معى .. هذه المرة سيكون هذا الكهف
مهمًا بحق .. لو كان له وجود ..

- « خذوا المشاعل .. ولا بأس من السلاح .. »

وارتدينا السترات الثقيلة والقفازات .. هذه المرة لم
يعد من مجال للخجل ، لذا وضعت على رأسى القلنسوة
للصوفية التى كتبت عندى ولم أجسر على ارتدائها قط ..
القلنسوة ذات أذننى للحمال التى تذكرك بالشمالين فى
شونة غلال (أبو كبير) .. إنها تجلب الكثير من الدفء ،
لكنها لا تترك لك شيئًا من الوقر لو عزة النفس .. راقها
(ماجى) فلم تملك برغم اكتئابها إلا أن تقول :

- « باتمان ! »

كان متاع الرجل حقيبة حملها (رايان) على ظهره ،
وغادرنا الخان ، وكانت الساعة الثامنة مساء ، لكن
كل شيء يوحى بأنها الساعة الخمسون مساء ..
وركبنا سيارة عتيقة توجهت بنا إلى المقابر عبر
شوارع باردة لكنها جافة لحسن الحظ ..

المقابر جاثمة فى الظلام كالكابوس ، ومن بعيد
شبح الكنيسة .. لا يوجد قمر هذه المرة .. لكن الأفق
يتألق بضوء غريب كأنه النذير .. اعتقد أنها ظاهرة
فيزيائية فى شمال أوروبا كثيرة كالذباب .. ليس
للشفق القطبى أغربها ..

هناك اتجه أحننا إلى الغرفة التى بقيم فيها حارس
المقابر وقرع الباب .. كنت أعرف يقينًا أننا سنجد
قد مات .. لماذا ؟؟ لأننى أعرف ما يكفى من هذه
القصص ..

لكن - وهذا غريب - الرجل فتح الباب .. يبدو أننى
صرت أثق بنفسى أكثر من اللازم هذه الأيام .. هل

تذكرون مراحل قيادة السيارات الأربع ؟ المرحلة الأولى أنت أخطئ تتركب الكثير من الأخطاء .. المرحلة الثانية لا تتركب أخطاء لكنك لا تستطيع تلافي أخطاء الغير .. ثم تتعلم كيف تتلافي أخطاء الغير كذلك .. المرحلة الرابعة أنت واثق بنفسك تعتقد أنك أفضل من يقود سيارة على وجه الأرض .. عندئذ .. طباخ !! أى .. إن أكثر الأخطاء - فى كل شئ - تحدث من معدومى الخبرة ومن الواثقين بأنفسهم أكثر من اللازم !

كان (إدوود) يترنح .. ليس هذا جديداً .. وقد أصغى إلى سؤالنا لبرهة ثم قال :

- « كهف (رونيل السوداء) ؟ هناك شئ كهذا لكن المكان خطر .. لا أنصحكم بأن ... »

- « دع نصائحك وقدنا إليه .. »

هكذا مشى الرجل ونحن خلفه بين شواهد للمقبرة .. مكان رهيب فعلاً ويثير الخيال .. تعرفون المصق الشهير

ليد تخرج من القبر لتمسك بساق المار فوقها ؟ حسن .. لم تبد هذه الفكرة بذات الغرابة وقتها ..

أخيراً وصلنا إلى أطراف المقبرة حيث السهل الخالى المقفر ..

كان هناك تل صغير ارتفاعه خمسة أمتار .. وكانت هناك شجيرات تكسو أسفله ..

- « هنا بالضبط .. »

- « كيف ؟ »

- « ليس هذا من اختراعى .. كنت منذ طفولتى أعرف أنه هنا ، لكننى لم أضطر لاستكشافه قط .. إنه مجرد تجويف فى مرتفع لا شئ فيه يثير ... »

ومد يده وبدأ يزيح الشجيرات - التى لم تكن كلها ذات جذور فى الأرض - على ضوء الكشف .. بالفعل كنت هناك فتحة فى الصخر .. هنا هتفت أنا غير فاهم :

- « هذا يعنى أن هذا الكهف خال .. ما كان أحدهم ليغطيه بالشجيرات بعد أن يدخل .. »

قالت (ماجى) وهى تسلط الكشاف على الأرض :

- « لا يا (رفعت) .. واضح أنهم كثير .. هناك من دخل ، ومن بقى بالخارج ليغضى المدخل بالشجيرات المتشابكة .. »

كانت آثار الأقدام على الأرض تحكى قصة واضحة ..

- « هل تدخل ؟ »

هتفت (ماجى) فى عصبية :

- « هل تمزح ؟ لو كان هناك احتمال واحد فى المائة أن (الياتور) هنا فلنصوب البندق .. »

كان معنا ثلاثة رجال أشداء .. اعتقد أن الواحد منهم يستطيع تهشيم أعناق أربع ساحرات .. وكان أحدهم مسلحاً ببندقية .. ثم إتبنى لمست عاجزاً .. أحياناً أستطيع توجيه ركلات قوية إلى قصبات الأرجل ، بشرط أن تعطبنى المصاحبة للزمنية والمكانية .. لا أرى ما يمنع من أن نجرب الآن ..

صاح حارس المقابر وهو يتراجع للوراء :

- « أما بعد هذا فلا أعرف .. أنا لم أعد ذا نفع لكم فاسمحوا لى بالانصراف .. »

ثم انطلق يركض بين الشواهد .. رحنا نرمقه ونتمنى أن يسقط فيدق عنقه ..

وعلى ضوء كشاف وكلوب ، رحنا نعالج الشجيرات حتى كشفناها كلها .. بالفعل كان أكثرها مجرد تعمية (كاموفلاج) كالتى يستعملونها فى الجيش ..

أخيراً بدا لنا مدخل الكهف .. كأنما هو فم الموت الفاجر ..

وأخذنا شهيقاً عميقاً ثم دخلنا ..

10 - الداخل ..

كان هناك ممر طوله نحو خمسة أمتار ..
مشينا فيه .. ولم يفتنا أن نرى بعض قطع العظام
مدفونة في الأرض .. عظام أطفال على الأرجح ..
وشعرت به (ماجى) تتنفس بعمق من طاقتى
أنفها .. كدت أحطم رأسها لأننى لا أطيق هذا الصوت
بالذات .. كانت منغطة ولهذا اعتقدت أن من حقها أن
تتحول إلى صافرة سفينة ..

فى نهاية الممر كان هناك باب موارب .. باب
عبارة عن قضبان حديدية .. كأنه باب قفص .. ولم
يكن مغلقاً .. كان جنزير معلقاً جواره وقد ثبت فيه
قفل مفتوح .. ودون كلمة واحدة أطفأ الرجال جميع
مصادر الضوء .. وحبسوا الأنفاس .. السبب هو أن
الضوء كله كان يأتى من الجهة الأخرى ..



أخيراً بدأ لنا مدخل الكهف .. كأننا هوام الموت الفاعر .. واحداً
شهباً عميقاً ثم دخلنا

ولبثنا في الظلام ننظر عبر باب القفص إلى القاعة
المجاورة .. الآن نفهم أشياء عن المكان .. واضح
أننا الآن تحت الأرض لأن الممر كان ينحدر بزاوية
شديدة لأسفل .. ومن الواضح كذلك أن هناك نظام
تهوية ومدخنة تخرج كل هذا الدخان إلى مكان بعيد
عن المقبرة ..

هناك نار .. نار مشتعلة .. وهناك من يرقص
حولها ..

يمكنك أن ترى النساء اللاتي يرقصن حول النار
بالداخل .. كلهن منكوشات الشعر يضحكن في
هستيريا وجنون .. بعضهن شابات مليحات وبعضهن
قهرمات في التسعين من العمر .. هل ترى هذه
المرأة ؟ نعم .. هي ممز (باتكروفت) .. لقد تغيرت
كثيراً جداً لكن من الصعب أن تخطئها .. بالطبع لم
تكن إذن في ذلك الحفل الذي رأيته (ماجى) في تلك
الليلة وإلا لعرفناها في الصور ..

هناك رجال كذلك .. وهم يلبسون ثياباً حمراء
فاقة للون .. وقنصوات .. هذا الفتى ضخمة الجثة
هو (أونيل) طبعاً أما هذا فهو - صدق أو لا تصدق -
الشرطي عديم الكفاءة .. ثمة رجلان أعرفهما لكن
لا أعرف اسميهما .. إذن عاد (أونيل) من (دبليين)
خصيصاً من أجل موعد الطقوس هذه ..

الغناء يتعالى ولا يمكنك أن تفهم حرفاً منه ..

هناك ما يوحى بأن حفل شواء سيقام حالاً .. هناك
قدر يغلى على النار وهناك نطع كبير عليه شاطور ..
وهناك ...

في منتصف المكان يوجد سرير حجري .. وعلى
هذا السرير الطفلة مقيدة !

من بين أسنانه ووسط هذا الصخب همس (أونولان)
بصوت كالضحك :

- « واضح أن الحفل في ذروته .. لا شك أن موعد

التضحية البشرية قادم .. الخطأ كما يلي .. سأفتح
المكان أنا ورفيقي .. وتناولكما للطفلة .. غادر
المكان أنت والآمنة ولا تنظر للوراء أبدا .. نحن
نعرف كيف ندبر أمورنا ..

خطأ محكمة .. والحقيقة أنه لا توجد خطأ
أخرى . يمكن مثلاً أن تدخل المكان وتطالبهم
بتسليمك الطفلة لكن من يعرف كيف يتصرف
هؤلاء المخابيل ؟ ربما يسارعون بقتلها قبل أن
تأخذها أنت ..

« الآن !! »

وركل الباب ليفتح مع رفيقيه .. انطلق
الرصاص في الهواء فتساقطت حجارة من السقف ..
وعلى الفور انقض (أوليفر) على رجلين ليخنقهما ،
بينما راح الثاني يركل من يسدون طريقه ، وهرع
إلى السرير الحجري أو مائدة التقديمات ، وبخنجر
مزق الحبال التي تربط الفتاة ..

كان المشهد الآن قد تحول إلى جحيم .. وراحت
(بانكروفت) تعوي كالذئب :

« لن تهربوا أيها المذنبون ! لن تهربوا !! إن (رونيل
السوداء) سوف ... »

في هذه اللحظة وجدت الطفلة بين ذراعي ، فتكررت
الخطأ وهرعت أركض في الممر و (ماجي) تركض
وراءى وهي تتشجج ..

نظرت للوراء ، فوجدت مشهداً لا يصدق ..

إن (رايان) يمسك بجركن كبير تخرج منه خرقة
من القماش ، فأشعل طرفها ثم طوحها إلى داخل
القاعة .. وسرعان ما جرى الرجال يغادرون المكان .

كلينج !

كان هذا صوت الباب المعدني إذ يغلق في وجه
السحرة ، ثم لف (أوليفر) الجنزير ليوصده بإحكام .

« افتح أيها المذنب !! »

هنا كانت النار من الفتيل قد أمسكت في البنزين
الذي يملأ الجركن ، وسرعان ما توهجت النار كأنما
هي قنبلة ..

هذا المشهد يأخذ مكانه في ثقة في اليوم كوابيسي
ليظل هناك إلى يوم الدين .. رباه !!

هذه الوجوه الكالحة الكريهة الممسوخة تتشبث
بالباب الحديدى وتعمى كالذئاب محاولة الخروج ..
تمد أيديها المخلبية نحونا .. بينما النار تنتشر
وتتفاقم ..

هرعنا إلى الخارج حيث ظلام المقبرة الموحى
بالسلام ، وكانت (ماجى) تعصر الطفلة كأنما تريد
ضغطها داخل ضلوعها .. حتى لا تسمع كل هذا
الصراخ غير الكونى .. حتى لا تشم كل هذا الشياط ..
انتهى الأمر .. لقد صارت الطفلة مجنونة بالتأكد .
محتاج إلى علاج نفسى لمدة عشرة أعوام .. ولو لم
تجن ستحول إلى مدمنة مخدرات مثلما حدث فيما بعد

للطفلة (ليندا بلير) التى قامت ببطولة فيلم (طارد الأرواح
الشريرة) .. إنها فى منتصف العمر الآن - عام ٢٠٠١ -
لكنها مازالت تعالج من تجربة الفيلم ..

أمسكت بـ (أونولان) من ياقة سترته وصحت :
- « قاتل !! لماذا فعلت هذا ؟ كان بوسعنا أن نحبسهم
ونأتى برجال القرية هنا .. »

قال دون أن ينظر لى :
- « لقد اتفقتا على هذا مع رجال البلدة .. لا يوجد
مظلومون فى هذا القبو .. كانوا سيجدون سبيلا
للفرار .. إنهم سحرة .. »

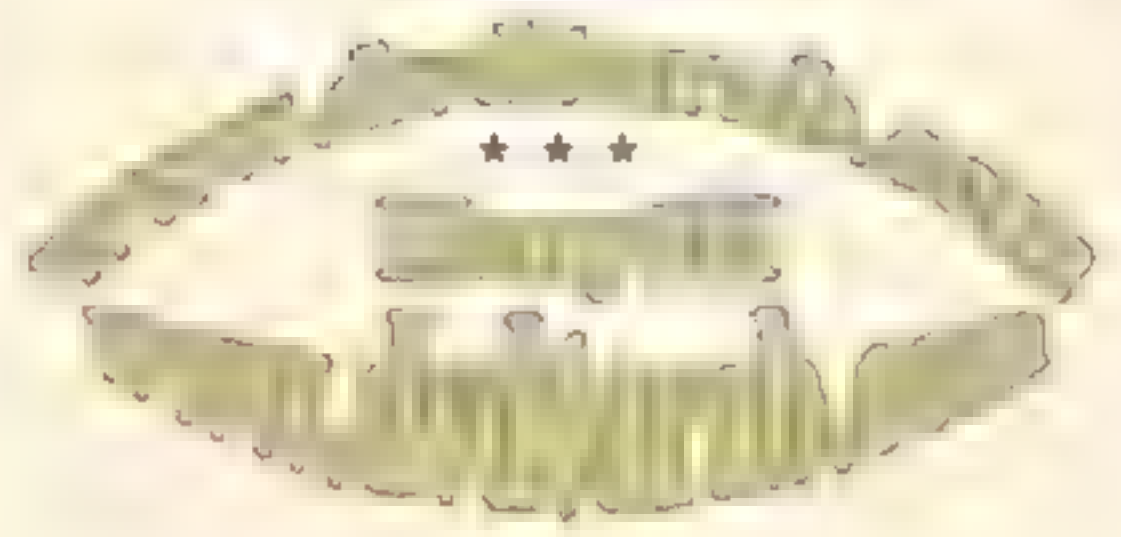
- « لكنك حرقهم أحياء وبدم بارد .. »
- « قلت لك لم يكن مناص من ذلك ..
ولا تستفزنى أبها الطبيب .. أنت رأيت بعينيك أنهم
كانوا يوشكون على التهام الطفلة .. »
هل تبلغ الشرطة عن هذا ؟ سوف نقرر حالاً ..
المهم الآن أن نطمئن على الصغيرة ..

كانت ترتجف لكنها فى حل طيبة .. طبقاً لإجابات
على أية أسئلة .. ذهول لاشك فيه .. وجهها ملطخ
بالدماء لكنها ليست دماءها .. إنها دماء رسمت
عليه ..

قالت (ماجى) فى حزم :

- « الآن نعود إلى الخان .. غدا نترك هذه البلدة
اللعينة بأسرع ما يمكن .. »

ودون أن تنتظر ردى أو ضوعنا ، حملت الطفلة
وراحت تشق طريقها عبر المقبرة ..



الخاتمة ..

فى التاسعة صباحاً دققت باب غرفة (ماجى)
ففتحت لى ..

كانت ترتدى الروب ، وقد اغتسلت وتخلصت من
آثار الليلة السوداء ، فعادت (ماجى) التى أعرفها ..
فى يدها كوب من عصير البرتقال لأدرى من أين
جاءت به ، وعلى وجهها ابتسامة منتعشة لطيفة ..

قالت لى :

- « برغم كل شيء لم نخسر واحداً من رجالنا ..
سنعود بكامل عتائنا .. »

ثم غمفت وهى تنظر فى عيني :

- « للأبد ؟ »

- « لماذا ؟ »

- « ستكون ملكي للأبد ؟ »

- « وحتى تحترق النجوم كلها .. وحتى ... »

ثم تذكرت ما جئت من أجله ، فقلت لها وأنا أنظر
من فوق كتفها :

- « هل الطفلة نائمة ؟ »

- « طبعا .. لم تتم إلا منذ ساعتين .. ولا ألومها
على شيء .. »

قلت لها وأنا أنتحي جانباً :

- « هلا ارتكيت ثيابك ولحقت بي ؟ إن الغرفة رقم (١٣)
فارغة وبابها مفتوح .. أريد أن نتكلم هناك على
حريتنا .. »

ثم توجهت إلى الغرفة المنكورة .. غرفة (لورين بلاك)
الرهيبية التي بدأت كل هذه الأحداث .. جلست على
الفرش ورحت أرتب أفكاري .. بعد قليل ظهرت (ملجي)
على الباب في ثياب بسيطة غالية في الألفة كعهدها ..

قلت لها بعد فترة صمت :

- « صباح اليوم عدت إلى المقبرة .. كنت وحدي
هذه المرة .. »

- « عت ؟ ولماذا ؟ »

- « كانت علامات استفهام كثيرة تضايقتني .. لم
أستوعب جيداً ما حدث الباردة .. وماذا تظنين أنني
رأيت فوق شاهد قبر (رونيل السوداء) ؟ »

تسعت عيناها بمعنى أنها غير راغبة في الاستنتاج ،
فقلت :

- « جثة من (لورين بلاك) !! »

لم أصف لها منظر الجثة .. ولن أصفه لكم لأن
هذه قصة وليست مرجعاً في الطب الشرعي أو دليلاً
للسفاحين .. لكنني وجدت جوارها حقيبتها بين الأعشاب
وكانت تحوى رزمة من الأوراق ..

- « لقد سمعت ما قلناه على الأرجح وفضلت الفرار

عن طريق النافذة .. لقد أدركت أنها صارت هدف
غضب الموجودين .. لكنها اتجهت إلى المقابر في
الظلام أو هذا ما أحسبها فعلته .. ثم ... »

ومدلت يدي لـ (ماجى) بهزيمة الأوراق التى كتبت
بخط دقيق منمق ..

راحت تتأملها وقالت :

- « هل قرأت الملحوظات ؟ »

فكبت الأوراق ثم راحت تقرأ بصوت عال :

- « تنبأت السحرة بأنها ستعود بعد ثلاثمائة عام ..
من الجميل أن أكون فى القرية فى هذا الوقت ..
يجب أن أعيش التجربة كاملة .. ألبس الأسود وأزور
مقبرتها من حين لآخر .. سأخيل أنى هى .. ولن
أكتب حرفاً قبل أن أتمم الدور كاملاً .. »

وتوقفت ومطت شفتها السفلى وقالت :

- « ما معنى هذا ؟ »

- « معناه أن (لورين) لم تكن أكثر من كاتبة قصص
رعب ثرية غريبة الأطوار ، كما حسبناها من البداية ..
ظلمها جمالها فجعلنا نصدق أى شىء يقال عنها .. بينما
عملية استعادة (رونيل السوداء) تتم ولا علاقة لها بها .. »

- « ومن قتل هؤلاء ؟ »

- « ليست هى طبعا .. هناك عدد كبير فى هذه
الجماعة .. لا بد أن أحدهم كان ينفرد بالضحية ..
معظم الأعمال تحتاج إلى أكثر من واحد على كل
حال .. طبعا لم يكن القاتل هو مسز (باتكروفت)
لأنها كانت أمامنا أكثر الوقت .. لا بد أن (أونيل)
الشاب لعب دوراً لا بأس به .. كذلك الشرطى .. »

- « ولماذا لم نجد هذه الأوراق فى حجرة مس
(لورين) ؟ »

- « لاحظى أن الشرطى و (باتكروفت) هما من
فتش الحجرة .. هل رأى أحدهما المخطوطات اللاتينية
التي زعما أنهما وجداها ؟ بالطبع لا .. كاتا يريدان
أن تثبت الصورة فى أذهاننا أكثر .. »

ثم مددت يدي في جيبى وأخرجت بعض الأشياء :

- « هل تعرفين هذه ؟ »

مدت يدها وراحت تتفحص الصور التى التقطتها
فى المقبرة ، وهتفت :

- « كيف وجدتتها ؟ »

- « تحت نافذتك .. لم يتخلص منها أحد .. لقد
أقيت إلقاء .. »

ثم أخذت منها الأوراق ورحلت ألقب حتى وجدت
نص كلمات (لورين) على شكل خاطرة :

- « الآن أرجو أن تصفى لهذا الجزء : لم أفهم
جيداً نص كلمات (رونيل السوداء) وهى على
المحرقة .. لكن من كانوا داتين سمعوها تتحدث عن
العودة بعد ثلاثمائة عام لتتقم .. ستعود فى شكل
طفلة اسمها فى المرأة .. لا أفهم هذا .. »

نظرت لى فى غباء فأخرجت فلكما من جيبى
وخططت على الجدار :

- « ELEANOR .. RONAELE » -

وقلت فى تودة :

- « لو قرأت (إلياتور) بالمقلوب لصارت (رونيل) ..
كانت تضعين الحروف أمام مرآة .. بالمناسبة الساحرة
اسمها الأصلي (هيلين) .. و (إلياتور) تتويع على
اسم (هيلين) .. وجدت هذا فى قاموس (وبستر)
الذى أحمله دقماً .. » (*)

هبت واقفة وصاحت :

- « أكرر .. ما الذى تعنيه ؟ »

- « أعنى أن مارليناه لمس لم يكن طقوس تضحية
بالطفلة .. بل كانت طقوس تنصيب !! إن (رونيل
الأسوداء) قد استحوذت على الطفلة وسوف تبدأ
دورة حياة جديدة معها !! »

- « أنت مجنون !! »

- « وما الدافع لذى جعلك تاتين هنا بالذات مع الطفلة
فى هذا الوقت بالذات ؟ يسهل أن نتصور أن من

(*) حقيقة ..

سرق الصور هي الطفلة ذاتها وهي من رماها من
النافذة .. كانت قد بدأت تتحول لكن التحول لم يكن
تاماً .. كان لابد من تنفيذ الانتقام أولاً بعدها يتم
الحفل الصاخب ..

- « نحن قاطعنا هذا الحقل في ذروته .. »

- « بل متأخراً جداً .. »

كان هذا الصوت من وراء كتف (ماجى) فأجفلنا
ونظرنا للوراء ..

كان صوت أنثى فى منتصف العمر لكننا وجدنا أمامنا
(إليانور) ذاتها حافية القدمين فى قميص نومها ..
وعلى وجهها ضحكة لن تصدقها ما لم ترها ..

كانت تقف على الباب ترمقنا بمزيج من حقد وتلذذ
وسخرية وكراهية .. وقالت :

- « تأخرتما كثيراً جداً .. لقد عادت (رونيل السوداء) .. »

وهذه المرة لن يمسها سوء لأن هذا العصر لا يعترف بحرق
المساحرات !

صحت وأنا أرتجف هلعاً :

- « نحن نعرف كل شئ .. »

- « لكنكما لن تستطيعا المص بي .. يومها ماذا
تقولان للشرطة ؟ كانت ساحرة ؟ »

ثم انفجرت فى ضحكة مستهترة قبيحة ماجنة
كريبة وخرجت من الغرفة ..

وسقطت (ماجى) على الأرض باكية .. اعترف أن
أعصابى لم تسمح لى إلا بالاستناد إلى الفراش ..
وهتفت (ماجى) وهي تتشج :

- « لن أتركها .. إنها قريبتى .. سأخذها معى إلى
(إنفرنسشاير) وسأفعل المستحيل كي تشفى .. »

- « تلخنين معك من تعيش داخلها ساحرة شريرة ؟ »

- « لا أتوقع منى أن أربطها إلى عود ولحرقها .. إنها
حالة نفسية لا أكثر .. ربما فصلام من فرط كل ما علقته .. »

قلت لها :

- « لنا كذلك اعتقد أن شفاءها ممكن .. إنها ممسوسة

أو مجنونة .. لأن الساحرة لم تعد للحياة ولم تغادر
قبرها .. ربما أمكن أن نجد حلاً .. »

ولبثنا ساعات على الأرض ترتجف .. ونفكر في
المستقبل الغامض ..

لم تنته قصة (إليانور) وكانت لي معها تنمية
سأحكيها فيما بعد .. لكني كنت مرغماً على العودة
إلى مصر ، وقد أُنذرت (ماجى) بأن تتخلص من
الطفلة في أقرب فرصة .. طبعاً كان هذا نفخاً في
قربة مثقوبة لأننى أعرفها .. وأعرف نفسى ..

هل الطفلة مريضة أم مسمومة ؟ لم أعرف هذا
إلا بعد فترة ..

أما عن أرض العظايا فكانت تنتظرنى بقصة
لا بأس بها من (سالم وسلمى) ..
لكن هذه قصة أخرى .

و. رفعت إسماعيل
القاهرة

ما وراء الطبيعة

روايات تحريش الأتقان

للإلهام القوي والخيال اللامع

روايات مصرية للخيال

أسطورة المقبرة

هناك مقبرة ..

لا يأس بهذا كيداية .. هناك -

كالعادة - أشياء تخرج من هذه المقبرة

ليلاً .. هناك ساحرة محترقة .. هناك

اجتماعات سرية في الظلام ..

هناك غراب يتلصص .. هناك (صاجي)

وعجوز أصلع أحرق .. باختصار : الروتين

المعتاد .. إن القصة تبدأ كالآتي ...



د. أحمد خالد توفيق

www.dvd4arab.com
Hany3H

من في مصر ٢٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة

العدد التاسع :
أسطورة أرض العفابيا